الكاتب اليساري

المجلة المهجرية الوحيدة المتخصصة

يسارية – أكاديمية – فكرية – ثقافية - نقدية

العدد رقم 68 :: أيار - مايو 2022

تعنى بابداع الكاتب وحرية النص

Issue No. 68 :: May 2022

د. محمود عباس
ماذا قدمت وأنا على أبواب السبعين؟

وضاعات

نحن وإسرائيل والعالم . . . والتغير الواجب

عميان في عالم أعور

الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية

وداعا شيطان رمضان!

عن الحوّامات التي أسقطت حواجز اسمنتيّة

أمي وذلك العشيق

الرغيف

الشيخ أحَا

قصة من الفولكلور الكوردي

تغريدة نوال

Al Kateb ISSN 1286 - 1425

كونوا شركاء في المحاولة

□ الكاتب مشروع ثقافي أكاديمي لبناني وعربي أسسه مجموعة من المثقفين والمبدعين اللبنانيين والعرب المقيمين في أوروبا، أمريكا الشمالية، والولايات المتحدة الأمريكية.

كانت تصدر الكاتب تحت إسم عيبال، ومن ثم البديل، إلى أن استقر الرأي على اعتماد إسم الكاتب عنوانا للمجلة.

تقصد مجلة الكاتب إلى إثارة السؤال الثقافي العربي في الواقع الراهن، محاولة منها برفده بصوت الجدل الحيوي، المفضي إلى السوية الثقافية، والمحفز إلى مزيد من التلاحم بين الثقافي – الفكري، بل وحتى السياسي في زمن أصبحت التحديات الثقافية أقرب إلى الزلزلة منها إلى الأخذ بالتي هي أحسن، ذلك أن أحوال الثقافات والمثقفين قد تبدلت وأصبحت رهن سيادة الطوائف والأحزاب، وأصبح المثقف أو أشباهه، والجاهل المتثاقف في زمن الفايسبوك يشترى ويباع في أسواق نخاسة الأنظمة والأجهزة والسفارات والغرف السوداء.

إنساننا اللبناني والعربي في الأوطان الأم، وفي المهاجر والمنافي، يجب أن ينهض، وثقافتنا ينبغي أن تتطور وتتوطد، ولابد أن نواجه الراهن ونستعجل أوان نضجه الطالع بالظفر. فكل إبداع هو كوة حرية، وكل فعل هو انعتاق، وكل تلاحم فكر إنساني هو زمن آت.

تمر حيوات، بيد أن حياة ممتلئة هي تلك التي تكتنز الابداع وتثمر الحرية، ولمجلة الكاتب فيها سويعة، لو عانقت أقلامكم واحتضانكم لها، ولا وقت يمر دون بشاراته.

يعمل فريق مجلة الكاتب وأصدقاؤها بشكل تطوعي من أجل:

- توثيق الثقافة والفن الانساني اللبناني والعربي، القديم والموروث، وتقديمه إلى المجتمعات الغير عربية بالوسائل الاكاديمية، عبر محاضرات ثقافية، وترجمة دراسات عن الثقافة والفن والتاريخ اللبناني والعربي، ومن خلال تنظيم معارض فنية وأمسيات موسيقية مع موسيقيين أكاديميين غربيين.
- يشجع ويتبنى فريق الكاتب أعمال الكتاب والشعراء والمبدعين اللبنانيين والعرب، أو المتحدرون من أصول عربية، ويتم نشر إبداعاتهم في مجلة الكاتب التي تصدر بعدة لغات، كما يتم التعريف بتلك الأعمال والابداعات للجمهور العربي والغربي سواء في الأوطان الأم أو المهاجر.
- يؤمن فريق مجلة الكاتب بحرية الفكر والتعبير، ويعتبرهما ركيزة أساسية لبناء المجتمع الديمقراطي اللبناني والعربي، الغير طائفي، والذي يسوده العدل والمساواة والقانون.
- يعمل فريق الكاتب مع المثقفين والمبدعين التقدميين الاوروبيين والعرب في التبشير بضرورة السلام في الشرق بالتوازي مع مقاومة التطبيع السياسي والاقتصادي مع دولة إسرائيل، ليس لأننا لا نؤمن بضرورة حل النزاع في الشرق، بل لأنه لا يمكن أن يكون هنالك سلام في ظل الاستمرار بسياسة الاعتقالات الجماعية، ومصادرة الأراضي، والاعتداءات العسكرية التي لا تنتهي من قبل إسرائيل على وطننا لبنان والدول العربية المجاورة.
- يغطي فريق الكاتب إصدار النسخة الورقية المطبوعة، وكذلك تكاليف الموقع الالكتروني عبر نشر بعض الاعلانات في كل عدد لمرسسات ثقافية وإنسانية وتربوية. إنما التكلفة الحقيقية هي في الجهد المبذول من قبل الفريق لاصدراها، وتبرعات الكتاب والمبدعين بانتاجهم الفكري.
- يعمل فريق المجلة دون مقابل وبشكل تطوعي.
- بانتظار أقلامكم ودعمكم الابداعي□□

فريق الكاتب

تصدر عن عبال للثقافة البديلة
Published by: Ebal For Alternative Culture
غير تجارية – Non Profit

The Writer
A Cultural Review in
Arabic & Other Languages

الكاتب
أكاديمية - نقدية - ثقافية - سياسية - فكرية
مجلة يسارية تصدر بعدة لغات

Editor – In – Chief
Composer and Political Singer
Dr. William Nassar

صاحبها ورئيس التحرير
المؤلف الموسيقي والمغني السياسي
د. وليم نصار

سكرتيرا التحرير
د. فيوليت دمياطي
د. منهل حديدي

مستشارا التحرير
عز الدين المصري
لينا حوا

مدراء التحرير
جوزفين فرنجية
مارون سلوم
يزن الأحمد
Anna White

فريق الكاتب
حسن زيدان
سلاف العلي
كمال أبو عيسي
أنطوان الراسي
جريس سلامة
حمزة مرتضى
علي الحسن
Richard Bordeaux
Chantal Temin

استشارة قانونية
Legal Advisor
Katarina Theodorakis
كاتارينا ثيودوراكيس

إعلانات
كارولين قحطاني
Vera Bellianti

مدراء الصفحة الالكترونية
نيرودا خوري
Patrick Laroc
Mary Quick

النسخة الالكترونية
https://al-kateb.com
E-Mail: alkateb@journalist.com
https://facebook.com/majallatalkateb

رقم التسجيل الدولي
ISSN 2563 - 3007

كلمة العدد

4
د. محمود عباس
ماذا قدمت وأنا على أبواب السبعين؟

ضيوف الكلمة

9
باسم عبدالله
الوحي الالهي حقيقة أم خرافة؟

المقال

5
الفضل شلق
الحزب الشيوعي اللبناني: أوهام جديدة بخطاب قديم
12
عبد الرزاق دحنون
عن الحوّامات التي أسقطت حواجز اسمنتيّة على مدينة إدلب
14
ماجد ع. محمد
وضاعات
15
سعيد مضية
في رفض الرضوخ للتفوق العرقي للغرب الامبريالي
18
د. سنية الحسيني
ثمن الاحتلال
19
د. ياسين الحاج صالح
نحن وإسرائيل والعالم ... والتغير الواجب
20
عدنان الصباح
عميان في عالم أعور

تغريدة

28
نوال شق
كطفل متسول

النقد

11
سيد القمني
الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية - الكعبات
24
عذري مازغ
عيدكم سعيد! وداعا شيطان رمضان!

القصة

8
ماجد الحيدر
الدب الممتن (حكاية من الفولكلور الكوردي)
21
فوز حمزة
أمي وذلك العشيق
27
مصطفى سامي
الرغيف

القصيدة

25
مظفر النواب
تصوف

واحات

17
مختار سعد شحاتة
الشيخ أحَا
22
عبداتي بوشعاب
من السوري أمجد الطرابلسي إلى الدكتورة نورة لغزاري
26
فارس التميمي
برد العجوز

الغلاف: (ريف لبنان) للتشكيلي اللبناني غاندي بوذياب
Cover: Painting by Gandi Bou Thiab , Lebanon
تصميم وإخراج: زينب ريحان – بولاند صادق، Guy Reynolds

طبع من هذا العدد 1500 نسخة ورقية وزعت مجانا على المراكز الثقافية والجامعات والمكتبات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، أمريكا الشمالية، أوروبا، أستراليا واليابان

ماذا قدمت وأنا على أبواب السبعين؟

د. محمود عباس
كوردستان

❑ وأنا على مشارف السبعين من العمر، أربعون منهم من مهجر إلى مهجر، أتمعن في محيطي، أنبش الماضي؛ وأدرس الحاضر؛ وأخمن قادمي الباقي.

عشت فصول العمر بأبعادها.
تأكدت، أنني لست بسياسي، ولا حزبي.
لست بكاتب ولا روائي ولا بشاعر.
لست بناقد، ولا بباحث.
لست برأسمالي، ولا رجل أعمال.

مؤلم عندما يتأكد الفرد أن مقولة سقراط تنطبق عليه "كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً "والأكثر ألما عندما يدرك الفرد إنه السبب، وكان بالإمكان ملئ بعض الفراغ الفكري.

هربت من فشلي مهاجرا، فخسرت الماضي والوطن، ولم أربح الحاضر في الغربة، ووجدت أنه كان مرافقي طوال الدهر، وفجوة اللا معرفة توسعت مع الزمن.

عدمت في الغربة مرات ومرات، رغم الصحة والعافية وبعض الرفاهية.
خلفت الكثير من الأخطاء، والقليل من النجاح.

لم أفلح في إيصال جزء ولو بسيط من القضية إلى حيث المبتغى ... فهل هناك من سيقتل الهجرة؟ ويعيد بناء الآثار (في نصران)

هل العودة إلى الوطن سينقذنا؟ تجارب التاريخ أثبتت شبه عدمية العودة.
هل بالانتقال إلى العتمة، وتضييق العلاقات، تكمن النجاة؟ أم أنه هروب من المواجهة؟
هل سيأتي بعدنا من يحمل الرسالة بالسوية التي تستحقها، ويدافع عن القضية بالحكمة المطلوبة؟

نحن من سلسلة أجيال كوردستان التي فشلت، في المهجر مثلما في الوطن.
ولا أرى أملاً في أجيال الغربة من بعدنا؟ فماذا عن أجيال الصامدين في الوطن؟

نحن أبناء الأمة الكوردية التي تحتضن الكثير من الخامات النقية، من بينها ثروة ثقافية لا تقدر، فمتى وكيف سيتم استثمارها؟

ليست عن سوداوية، ولا عن كآبة، بل حقيقة فرضت ذاتها. ❑❑

الحزب الشيوعي اللبناني:
أوهام جديدة بخطاب قديم

❑ يرث الحزب الشيوعي اللبناني، كغيره من الأحزاب، تراثاً فكريا ثرياً.هو ليس كمنظمة العمل تحوّل الى الماركسية نتيجة حدث ما ثم تخلى عنها إلا كأحد مصادر فكره. هو مدرسة فكرية ماركسية من الأول الى الآخر. مع تعدد المذاهب الماركسية ومراكزها العالمية، كان شرط وجوده الأساسي الولاء لخط موسكو، سواء في مراحل مهادنة البورجوازية الوطنية أو العداء لها. كان مطواعاً لموسكو وسياستها.

يشبهه في ذلك حزب الله في تبعيته لطهران ومذهبها الفكري، السياسي، والديني. الشيوعية أيضا تتحوّل الى ما يشبه الدين عندما يُرفع المؤسسون الى مستوى العصمة ونصوصهم الى مستوى القداسة. تصير النصوص التأسيسية مصدراً للحقيقة والإلهام. تتحوّل النظرية المعتبرة عالمية الى دين. والكوادر العليا سدنة الهيكل، والمثقفون الحزبيون اكليروس الدعوة. توضع قيود على الحركة الفكرية. لا تكون واقعية، أي مقبولة، إلا بمقدار ما تطابق أفكار الذين في المركز الأعلى. من يخالف "الحقيقة المعطاة" يُحرم كما في الكنيسة المسيحية. أو يُكفّر كما في الدين الإسلامي. هناك محاكم للفكر والعقيدة كما محاكم التفتيش في الكنيسة الكاثوليكية. يشكّل الحزب عندها مجتمعاً مغلقاً، غير مفتوح إلا للدعوة من أجل كسب أعضاء جدد وأنصار. تتراجع الحريات طوعاً. على الملتزم حزبياً أن يكون ملتزماً فكرياً. تتلاشى الحرية كاستجابة للضمير الذاتي-الفردي والجماعي. يصبح التحرر الوطني ذا أولوية على حرية الفرد والمجتمع. "الأمة" تعلو على الدولة. كل شيء في سبيلها.

"الأمة" مركزها موسكو أو بكين. يدرب الأعضاء على اشتقاق أفكارهم من العقيدة الحزبية (الكاتشيزم عند الكنيسة). يبدأ كل تقرير بالوضع الدولي (تصورات المركز الحزبي) ثم ينتقل الى الوضع الإقليمي ثم المحلي؛ يصل الى المحلي بواسطة الإقليمي والدولي. الوجود مشتق من القضية. وهي مصلحة المركز. المحليات ملحقة بالمركز. الوفاء لقضية المركز هدف الوجود. القضية أولوية على الوجود. الأفراد صدى لإرادة المركز الحزبي. كل نقاش جدي ينتهي الى انشقاق، ذلك عندما لا يطيق الأعضاء أو الكوادر تسلّط مشايخ المركز.

يُستنبط العلم الحديث من العقيدة. مدارس تدريب الكوادر تشبه الحوزات. المدرسة المركزية تشبه الأزهر. الآتي من هناك يتقدم على التابع من هنا. تعاد كتابة التاريخ لتتلاءم مع وصفات التطوّر البشري المعترف بها "رسمياً". تُعاد كتابة تاريخ الحزب لحذف المنشقين من الرواية السردية. أحاديث "الحكماء" تجمع في كراسات للتلقين. يعتمد الأعضاء الحزبيون والأنصار على التلقي. يموت الإبداع. كل بدعة ضلالة. كل خروج على أفكار وآراء السلطة المركزية هو إنكار للعقيدة. كفر بديكتاتورية "البروليتاريا". ليس المجتمع ما يدرسه أهله، ولا المشاعر والمطالب التي يعبرون عنها. هي ما يُستنبط من المركز والعقيدة وأقوال سدنة الهيكل.

المثقف ليس من يدرس ويعبّر عن ضميره ويعلن نتائج تفكيره. هو الذي يجمع "أحاديث" و"علوم" المركز ويعبّر عنها. الوعي ليس تعبيراً عن الوجود بل استنباطاً من القضية. ملاءمة القضية للوجود، والوجود دائماً محلي. قرارات "الأممية" أو التنظيم المركزي هي القضية. الرحلة الى موسكو والإقامة بها ردحاً من الزمن هي كالمجاورة في مكة أو النجف. الزعيم "الأمين العام" يلقي الخطب. الجمهور يصفّق. كلماته أوامر. على المتلقي أن يستجيب ولا يسأل. لا يعقد الزعيم مؤتمرات صحفية. هو في عصمة من كل شك وسؤال. القرارات، كما التحولات الكبرى، تُتّخذ وتحدث في اجتماعات سرية. يُحافظ على عصمة المركز بسرية الاجتماعات والمؤتمرات. مخابرات الدولة، عندما يندمج الحزب في الدولة ويحولها الى مجرد سلطة، تحمي الحزب وامينه العام من التساؤل. النقاش يصير شغباً. يعرف الناس العاديون عن أي انشقاق بعد أن يحدث. يطهّر الحزب، أو يعتبر كذلك بعد كل انشقاق. تعود العبادة الى صفائها. هذه هي مقدمة طويلة. يبدو أنها تصلح لوصف كل المذاهب والحركات السرية. سرية العبادة تفرض شروطها على البشر. يظن الملتزم بالقضية أنه مكرّس لما يعتبره حقيقة أو حقاً. ينتهي الى أن يكون وفياً للقضية. المقدمة طويلة لأن هناك تساؤلات عما إذا كان الحزب قد تخلص من بنى فكرية ورثها عن أيام التبعية لموسكو السوفياتية. كثير من الممارسات المذكورة زالت بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. لكن الصدام الفكري ما زال ساري المفعول.

ينقسم الكتيّب الصادر عن "المؤتمر الوطني الثاني عشر" للحزب الشيوعي اللبناني، المنعقد في بيروت تشرين الأوّل 2021، الى جزأين: الأوّل يتعلّق "بالوثنية الفكرية"، والثاني هو التقرير السياسي". يتبع ذلك "توجهات برنامجية".

يقدم الجزء الأوّل صورة عن عالم تحكمه الرأسمالية بأعلى أشكالها المالية التي تغلب عليها الأمولة (Financialization). عالم يتألف من المركز المتعدد الأقطاب ودول طرفية هي في الأساس عالمثالثية دخلت تحت جناح الامبريالية فأصابتها التبعية. تعمل آلية هذه الرأسمالية من خلال استتباع الدول الخاضعة لها بواسطة "بنية امبريالية" والاستغلال الذي تمارسه البلدان الطرفية على الطبقة العاملة وغيرها داخل بلدانها، وعلى البلدان المستتبعة. الاستغلال مزدوج. من خلال تدفق الاستثمارات والتكنولوجيا الرقمية من أجل الربح، وهي تساعد في الاستتباع. التصدي للامبريالية يكون عبر الاضلاع بمهمات التحرر الوطني التي تعتبر في الوقت ذاته مهمات تحرر سياسي واجتماعي من نظام علاقات الإنتاج الرأسمالية والتبعية. آلية التوسّع الامبريالي يكون عبر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية. علاقة ذلك بزرع "الكيان الصهيوني المصطنع" هي علاقة وثيقة.

الفضل شلق
لبنان

فهم ما يجري في لبنان والبلدان العربية وأفاق تطورهما يأتي بهذا الإطار. إطار أزمة تقدم الرأسمالية السريع نحو حدودها التاريخية. من هنا يأتي على الحركة الشيوعية واليسارية العالمية فهم للاشتراكية، يقضي بتحقيق مصالح الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة حول العالم. الماركسية تبقى صحيحة وراهنة إضافة الى الفهم للامبريالية بمستجدات تطوراتها: "الأمولة" والتقدم التكنولوجي الرقمي. هذه الرأسمالية العالمية أدى فيها الرأسمال المالي (الأمولة) الى فصل الرأسمال المالي عن الإنتاج الحقيقي. تعولمت العلاقات الاقتصادية الاجتماعية، ثم الحياة السياسية والروحية. وأسفر التطوّر الرأسمالي المعولم عن نتائج طاولت البنية الطبقية للنظام الرأسمالي، فعولمة للقوى المنتجة، وعولمة للعلاقات الاقتصادية الاجتماعية؛ وأنتجت تحولات البنية الطبقية المعاصرة نتائج طالت البنية الطبقية للنظام الرأسمالي ككل، ولكل بلد من بلدانه. وسط اكتساب تناقضاته طابعاً عالمياً.

في أخر هذا الفصل عن التبعية بعض التشكيك بصحة هذه النظرية. وقبلها حديث عن دول صاعدة بعد التبعية. "ظاهرة الدول الصاعدة" (الصين وروسيا والبرازيل والهند) إضافة الى دول أقل تأثيراً، تضم المكسيك، وأندونيسيا، وجنوب أفريقيا، وايران، وتركيا.

لا يدري القارىء ما الفرق بين "الدول الصاعدة" و"الدول الأقل تأثيرا". لكن الصورة التي تقدم إليه عن العالم ونظرية التبعية تهتز، خاصة عندما يمر النص بتركيز معتاد

على تناقضات وأزمة الرأسمالية المعولمة وعدم قدرتها على إدارة تناقضاتها، بالأحرى عجزها عن إدارة العالم. وصفة الحرب وضرورتها للرأسمالية لإحكام قبضتها على العالم تشي بأن البشرية غير قابلة للاحتواء في نظام اقتصادي (سلمي) يكون فيه الخضوع (التبعية) طوعاً أو بالانهيار بنمط العيش في ظل الرأسمالية. على كل حال، تهتز الصورة أكثر فأكثر عندما تختلط الرغبات بالتشخيص الموضوعي. أي عندما يطالب النص الدول "الصاعدة" و"الأقل تأثيراً" بفعل كذا وكذا على صعيد اجراءات تضامنية لمواجهة الامبريالية. يراد تعديل صورة العالم بإضافة تصورات عن العالم أو مطالب ورغبات، بحيث لا تستقيم صورة هذا العالم في الوعي دون إضافات من الذات المناضلة.

من خلال هذه الصورة عن العالم بين رأسمالية امبريالية يهيمن فيها رأسمال الأمولة، تظهر صورة حركة التحرر الوطني العربية بين الأزمة والتجديد. إن معظم البلدان التابعة أو المستتبعة، منها الصاعدة، كانت حتى وقت قريب محكومة بالاستعمار الذي معظمه احتلال مباشر أو غير مباشر، وبعضه بالخضوع للهيمنة.

بعد الحرب العالمية الثانية ضعف الاستعمار وجاء دعم الاتحاد السوفياتي لحركات التحرر الوطني التي حققت الاستقـــلال في هــذه البـــلدان. تحقيق جاء مع التبعية للمراكز الرأسمالية. هل غيّر الاستقلال شيئاً في هذه البلدان؟ وهل كان نعمة حلت على هذه البلدان؟ أم أن هذه البلدان انتهجت طريقاً جعل التبعية عملية مستمرة؟ هل كان الاستقلال كذباً وتدليساً أم كان حقيقياً على الصعيد السياسي، ولم يستطع أن يتحقق على الصعيد الثقافي والاقتصادي؟ بقيت هذه البلدان ضعيفة عسكرياً، وبقيت الثقافة ملتبسة بين نخب تربّت على يد الاستعمار السابق ومجتمعها الذي بقي تقليديا مع اضطراره لاستخدام تقنيات حديثة في بعض القطاعات. الانفصال بين النخب الحديثة، وهي في معظمها ليبرالية، وبين أكثرية المجتمع كان شرخا عميقاً استطاع من خلاله العسكر التسلل الى السلطة. العسكر مؤسسة حديثة على قدر كبير من الضعف. ما استطاعت الحكم إلا بالاعتماد على دعم خارجي من هذا المعسكر أو ذاك. مع الدعم الخارجي استطاع العسكر تدجين مجتمعهم وقمعه. هي حداثة من نوع آخر حكمت وكان حكمها على الصعيد الثقافي ثم الاقتصادي قشرة رقيقة، وغلفت مجتمعاً متأخراً. التأخّر جرّ الى التخلف واتساع الهوة بين المجتمعات المتقدمة والمتأخرة. لم يكن التخلّف حصيلة سيطرة خارجية. وهذه كانت موجودة بالفعل. لكن السيطرة من الخارج ما كان لها أن تستمر لولا الاستبداد. وهو يعتمد على العسكر، وإن كان على رأسه حاكماً مدنياً، أو إذا كان هناك انتخابات ديمقراطية. يمكن للديمقراطية أن تكون نظاماً للاستبداد أو للحرية. هتلر وموسيليني وصلا للسلطة بالانتخابات. هذا إذا لم نتكلم عن الأنظمة العربية وعن غيرها من بلدان أسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، التي شاع فيها الاستبداد بحكومات عسكرية انتخبت بعدها بالديمقراطية (الانتخابات المزورة).

الأهم هو أن التحرر الوطني وجه آخر للتبعية. كلاهما علاقة مع الخارج. كلاهما يقدم موارد البلاد للخارج طوعاً أو قسراً. كلاهما يعتبر أن الناس بحاجة لمن "يرشدهم" أو يقودهم على طريق الفهم والتقدم والحضارة. التحرر الوطني يحرر الوطن ويستبدل سلطة المستعمر ونهبه بسلطة "قائد" حرب التحرر الوطني الملهم، الذي يبقي البلد المحرر بعد الاستقلال على حالة تعبئة عامة واقتصاد بالأمر وعزلة ثقافية لا تعترف بثقافة المستعمر الامبريالية. يبقي المجتمع على حالة من الاستنقاع الثقافي. التحرر الوطني عقبة في وجه الحرية، وهي المطلب الأساسي وشرط التحرر الوطني دون تبعية. في معظم الحالات يستمر الاستتباع عن طريق التحرر الوطني، إن لم يتزامن التحرر الوطني منذ اللحظة الأولى مع الحرية.

ليست الحرية مرحلة ما بعد التحرر الوطني. غالبا ما يؤدي التحرر الوطني الى فقدان الحريات بحجة أن الوطن يتعرّض لمؤامرات خارجية. مواجهة حقيقية بنظرنا للتبعية والاستعمار تكون بالحرية الفردية، لا بالتحرر الوطني فقط. تُستلب الحرية في الداخل عن طريق حكم الاستبداد السياسي أو الاستبداد الديني (سيطرة المجتمع على الفرد). وغالباً ما يتحالفان أو يتنازعان على السلطة؛ والأمر سيان. التحرر الوطني يكون استبداداً إذا لم يقد مباشرةً الى الحريات الفردية واحترام القانون والدستور. وغالبا ما يطلب "محررو" الوطن من الناس التضحية بحرياتهم في سبيل عيش أفضل بعد هزيمة المؤامرات الخارجية. وغالباً ما يخسر الناس الإثنين معاً.

ليس غريباً أن يخسر لبنان الحريات الفردية، وينهار الاقتصاد، وتصادر ودائع الناس بعد انتصار التحرر الوطني في أعقاب تحرير الجنوب. جعلوا القضية اعلى من الوجود، وغاية له. وبرروا الفساد واستلاب الحريات باسم محاربة الفساد، واعتبار الحرية إلحاقا بقضية المقدس تحت مسمى "الوفاء للمقاومة"، بدل أن تكون المقاومة وفاءً للناس. الثورة العربية لعام 2011 كانت ضد أنظمة التحرر الوطني، وبعضها اتخذ لقب الممانعة. ثورة 17 تشرين الأول 2019، كانت ضد التحرر الوطني أيضاً. التحرر الوطني ليس طريقاً الى الاشتراكية. ما قاله تقرير المؤتمر الوطني الثاني عشر للحزب الشيوعي هو نوع من الخطأ أثبتته التجارب الواقعية في بلدان آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. هو وهم ما زلنا نكرره منذ استقلالات بلادنا، كما نكرر كل شيء آخر من تاريخنا القديم والحديث. طريق التحرر الوطني تقود الى شيء آخر هو الأصولية الدينية (أو غير الدينية).

إن ترادف تعبير التبعية مع التحرر الوطني يعني فيما يعنيه وضع جدار عزل دون الثقافة الغربية. ثقافة العصر. هي ثقافة العصر خاصة في عالم معوّلم تحكمه رأسمالية مالية. وصول الحداثة الى نخبة من الناس وغرق البقية في التقليد هو من سمات هذه العولمة. لكن التمسّك بالتراث والأصالة في وجه الغزو الثقافي، وفي وجه الثقافة الغربية، وهي عالمية تفرض نفسها على العالم، أمر يقود الى أصولية دينية، إذ تختصر المجتمع الى الدين، والدين الى التراث، والتراث الى الأصولية، والأصولية الى سلفية. الأصولية الدينية والسلفية المدعومة في جميع مناحي المجتمع تحوّل مزاج الناس الى ما هو ديني ثم الى ما هو أصولي. ومن هنا تنبت القاعدة وأخواتها. إن المسألة لا تتعلّق بادعاء إسلام صحيح وآخر متطرّف، بل الأمر يتعلّق باتساع الجنوح الى الدين والأخذ بمقولات الانعزال عن الثقافة العالمية المستمد من مفهومي التبعية، إذ فيهما بذور الأصولية التي تجد أرضاً خصبة في تراب المجتمع، خاصة مع توالي الهزائم وحاجة الناس الى الاحتماء النفسي بالدين لمواجهة ما يسمى الغزو الثقافي.

ليس صدفة إضافة تعبير "الله وأكبر" الى العلم العراقي في زمن صدام حسين. المسألة ليست نظرية في التبعية مع تثبيت مقولة التحرر الوطني وحسب. إنها أيضاً مسألة الوعي والثقافة وجدران العزل بيننا وبين الثقافة العالمية، والتقوقع حول ثقافتنا الموروثة، ورفع تراثنا الى مستوى القداسة، بدل أن نجعل منه تاريخاً ونخضعه لمناهج النقد والتقييم. ذلك لا يتأتى إلا بالخروج من هذا التراث كي نستطيع نقده وتقييمه، والخروج من الماضي والسكن في الماضي، الى صنع التاريخ وولوج طريق التقدم. على أساس ذلك لا يكون النقد الثقافي كما الاقتصادي والسياسي خروجاً على الماركسية بل تطويراً لها. مراكمة فكرية على ما هو متاح، من أجل فكر يتجاوز الحاضر، ويطلّق الماضي، ويصنع المستقبل.

حركة التحرر الوطني العربية سوف تقترن بعدم الحرية منذ البداية، مع انعدام الحرية الفردية. وسيؤول الأمر الى الاستبداد والحكم العسكري والمخابراتي. وهذا سيؤدي بدوره الى التنافس، في غالب الأحيان، أو التحالف مع القوى الدينية الأصولية. وإذا ظهر الخلاف بينهما سيكون ذلك نزاعاً على السلطة. تتحوّل السلطة الى دولة عندما تترسّخ قيم الحرية، أي عندما يقرر الفرد رأيه على أساس ضميره، لا على أساس ما يُملى عليه، وعندما يتمتّع بحرية الرأي لا بحرية إبداء الرأي وحسب. بالرأي الحر يشارك الفرد في السياسة. تتحوّل الجماعة الى مجتمع سياسي، وتتشكّل الدولة من أفراد. وهي لا تتشكّل إلا من أفراد أحرار يشاركون في أمور الدولة وسياساتها. يتجاوزون كونهم رعايا. يتحولون الى مواطنين في دولة. تصير الدولة وعاءً لهم. تتجاوز كونها مفروضة من الخارج، سواءً كان هذا الخارج استعماراً أو حكماً داخلياً استبدادياً. الاستبداد، حتى الذي جاء في أعقاب أو في أحضان التحرر الوطني، لا يكون إلا تابعاً للخارج، سواءً كان الخارج شرقاً أسيويا أو روسياً أو غربياً؛ علما أن الصين وروسيا وغيرها هي أيضاً رأسمالية كالامبراطورية الأميركية أو أذرعها في اوروبا. إن التحرر الوطني يعني تحرر الجماعة أو المجتمع، أما الحرية فهي تحرر من تسلط المجتمع الى الفردية والمواطنية. التحرر الوطني يقود الى تعبئة المجتمع في وجه الخارج. وأن يكون ذلك بزعامة أبطال التحرر أو زبانيتهم بعد إبعاد الأبطال الحقيقيين أو قتلهم. التعبئة ضد الخارج اقتصاديا وثقافيا وسياسيا حجة الطاغية لتجديد حكمه وتأبيده، ونجاحه في "الانتخابات" الديمقراطية، واحدة بعد أخرى. الديمقراطية أيضاً تقود الى الاستبداد. نقيضها هي السياسة حين تكون مجالاً مفتوحاً للجميع، حيث الفاعل الاجتماعي هو الفرد لا المجتمع الديني؛ الفرد المواطن لا مجتمع الرعايا.

والسياسة الحقة لا تمارس إلا في مجتمع مفتوح. ليس بالضرورة لبيرالياً بل مفتوحا على النقاش والسؤال والمساءلة والشك بكل ما يعتبر بديهياً، ونزع القداسة عن الذين اكتسبوها بفعل زعامتهم، والخروج من الاختناق بين الحلال والحرام مع إهمال المباح والمستحب والمكروه. الخلط بين نظرية رفض التبعية وبين نظرية التحرر الوطني يؤدي الى أصولية من نوع آخر.

أما الحديث عن الوضع اللبناني فهو يخلو من النقد لتجربة الحرب الأهلية التي شارك فيها الحزب الشيوعي بجدارة، وفي قيادة فريق منها. أصبحت رواية تاريخ لبنان المعاصر عند جميع الطراف تقريباً محذوفة من السردية كي لا يتطرّق كل حزب الى الارتكابات التي مارسها هو والآخرون من الأحزاب والتنظيمات الأخرى. بذلك استحال النقد الذاتي وصار النقد مقتصراً على الآخرين. وفي ذلك تبرئة للذات. تطوّر الأمر الى إلغاء التاريخ عملياً، إذ أن الاقتصار على جزء منه يضرب التسلسل. تفرط سلسة التاريخ ويفقد صفته الأساسية لحلقات متواصلة الأحداث. وبالتالي يغيب التقييم والنقد، ويصاب أصحاب هذا التاريخ بالثمالة، إذ استطاعوا تدميره.

تدمير التاريخ يؤدي الى رؤى موروبة حول ما تبع الحرب الأهلية. اتفاق الطائف ما استطاع أن يكون دستوراً للخروج بنظرهم من الحرب الأهلية، علماً بان الخروج لم يكن إلا بتسوية بحجم اتفاق الطائف. تتحوّل الثلاثون سنة التي تلت الطائف الى مقولة مجردة كمصدر للاحكام، خاصة فساد تلك المرحلة، دون ذكر ما حدث خلالها من تقدم وازدهار المجتمع وانتعاش الطبقات الفقيرة. لم تعد تنفع مقولة الثلاثين سنة الأخيرة سوى للتزوير التاريخي، وإبراز الفريق الأقوى الذي قادها بزعامة رفيق الحريري. هذا ما سهّل إلصاق التهم به، علما أنه قتل في منتصف هذه المرحلة، وقد كانت مرحلة ازدهار ونهوض. وحكم في النصف الثاني من هذه الثلاثين سنة عهدان رئاسيان بتوجيه وقيادة حزب الله. في هذه المرحلة بدأ التراجع وصولاً الى الانهيار الذي نعانيه، وسقوط الطبقة الوسطى الى ما هو أدنى في السلم الاجتماعي، وسقوط الطبقات الأدنى الى الفقر، وبعضها الى الفقر المدقع، حيث لا يكفي المدخول لتأمين ضروريات الحياة، هذا إن توفرت لهم. خرج التاريخ من كونه علما ليصبح وجهة نظر. مجرد ايديولوجيا بائسة. كما كتب ماركس كتاب "بؤس الفلسفة"، يستطيع أحد باحثينا أن يكتب طويلاً في بؤس الايديولوجيا.

يعتبر الحزب الشيوعي نفسه أنه هو حزب الطبقة العاملة. ليت الطبقة العاملة اعترفت له بهذا الشرف. ربما كانت الطبقة العاملة تصنّف كذلك بسبب موقعها في سلم المداخيل ونوعية عملها، لكن هل هي تشكّل طبقة دون أن تعي نفسها كذلك؟ وكيف تصبح فاعلاً اجتماعياً دون ذلك؟ وإذا كان المرء في لبنان تصادره طائفته منذ أن يولد، فهل يتشكّل وعيه إلا طائفيا؟ وهل الانتماء الطبقي أقوى من الانتماء الطائفي؟ هل يقترح الحزب التحالفات للتعويض عن هذا الضعف؟ علما أن التحالفات ضرورية في كل آن وفي كل مكان.

لبنان لا يتشكّل من طبقات بل من طوائف مسيطرة على الأفراد في الفكر والعمل. ألا تستحق التشكيلة الاجتماعية تحليلاً أكثر مما ورد؟ التشكيلة الاجتماعية مصدر الفعل والسلوك والفهم لدى أفراد المجتمع اللبناني. الطبقة السياسة (الرأسمالية) تعرف ذلك، وتعمل على أساسه.

الحزب الشيوعي يعي ذلك بدرجة أقل لكنه لا يعتبر ذلك أولوية في برنامجه السياسي. هذه آفة اليسار عموماً منذ بدء الخليقة. ننجح في نضال مطلبي تعبيراً عن مطالب طبقية. لكننا نفشل في نضال سياسي يكون متلائما مع التشكيلة الاجتماعية. الى أي مدى إذن، نفهم مجتمعنا؟ وإذا فهمناه فلماذا لا نناضل على هذا الأساس؟ ولماذا نناضل على أساس برامج مستوردة من بلدان خلت من الطوائف كما نعرفها؟ أليس في ذلك تبعية فكرية لأحزاب شيوعية في دول أرقى ثقافياً وأعتى في النضال الطبقي؟ وهل ذلك إلا نوع من التبعية الفكرية؟ في مطلع التقرير كان البدء بنقد التبعية، وهذا صحيح.

وصحيح أيضاً أن النظام الرأسمالي تطوّر للأمولة. وصار الرأسمال المالي مسيطراً على الرأسمال الإنتاجي. وصار اقتطاع القيمة الزائدة، الربح أو ما زاد عن الأجور وهي الحد الأدنى الذي بالكاد يكفي لمستلزمات المعيشة الضرورية، يتم لا على أرض المعمل أو في المزرعة، بل على الأكثر في بورصات تبادل المال والأوراق المالية والأسهم. وشاع العمل الفكري، الى جانب ذلك، لكننا ما زلنا عاجزين عن تحليله على أساس النظرية الماركسية، بالأحرى على أساس فهمنا لهذه النظرية. وبالتالي، هل الاقتصاد العالمي إلا اقتصاداً ريعياً، حيث المال ينتج المال، والربح ينتج الربح. وحيث الثروات تتراكم دون استثمار في الصناعة أو الزراعة أو في أي عمل منتج، إلا بالاستثمار في المال؟ تحوّل المال الى هدف بذاته ولذاته. لم يعد مجرد أداة للتبادل وقياس القيمة. صار هو القيمة. تحوّل عمل الناس من وسيلة لإنتاج ما يلبي الرغبات الى أداة بيد الرأسمال لإنتاج مزيد من الرأسمال (مراكمة الربح). صار مركزاً لعبودية جديدة تصدرها البلدان الرأسمالية من المركز الى الأطراف. لا تستخدم الناس عبيداً في بلادها بل عبيداً في بلادهم. وتحمي هذه العبودية منظومة بلدان "التحرر الوطني". تسمية الصين على أنها "بلد صاعد" لا تفيدنا في فهم الصين كبلد رأسمالي، يبيع الأيدي العاملة للرأسمال الغربي، بما في ذلك الصيني، والنخب الرأسمالية في العالم موحدة الموقع أو الوضع الاجتماعي الوطني والعالمي.

ما لا يناقشه مؤتمر الحزب الشيوعي اللبناني هو نجاح الرأسمالية في تجديد نفسها، وزيادة وتكثيف استغلالها للجنس البشري. في حين يكثر الحديث عن أزمة الرأسمالية وأزمة النظام العالمي، بما في ذلك العولمة التي يُكتب في أمكنة أخرى الآن عن نهايتها. بمناسبة حرب أوكرانيا. أزمات الرأسمالية تتكرر، لكنها عرفت كيف تجدد نفسها ولو على حساب البشرية. ما جددت الرأسمالية نفسها بعد أزمة 2008 إلا على حساب الفقراء ودافعي الضرائب الذين ازدادوا فقراً، كي يذهب ما يُسلب منهم لدعم الشركات الكبرى المتعثرة؛ وهذه ازدادت فيها رواتب وجوائز وحصص مدرائها وكبار المساهمين فيها، وازداد عدد أصحاب الثروات بالمليارات من الدولارات، بينما معظم البشرية كان يغرق في الفقر المدقع.

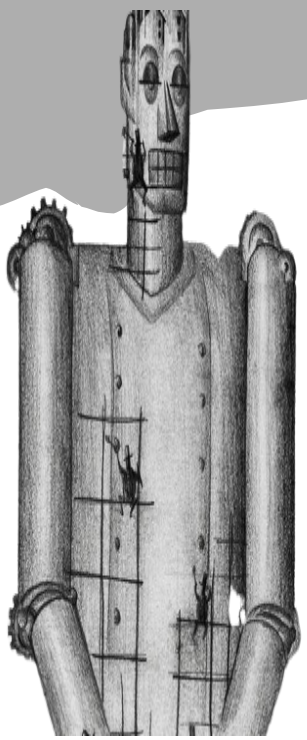

أزمة الفقراء، وهم أكثرية البشرية، هي الأزمة التي لا شفاء منها على المدى المنظور، ولمدة طويلة. آفة اليسار عموما، والشيوعيين خاصة، أنهم يتحدثون على الدوام عن أزمة الأغنياء. وهؤلاء أصحاب قدرة على تجاوز أزمتهم. ولا يكثرون الحديث عن أزمة الفقر والفقراء الذين لا يملكون الوسائل للخلاص منها. إذا كان أصحاب الدين موعودين بالخلاص في السماء، فغير المؤمنين لا خلاص لهم في السماء أو على الأرض.

أما الثورة العربية عام 2011، لم ير المؤتمر أنها حدثت في وقت واحد تقريبا في كل البلاد العربية. ودلالة ذلك على ان الشعوب العربية تسير بوتيرة واحدة استجابة لتطورات التاريخ، وأنه تبعاً لذلك لن تكون الوحدة العربية إلا وحدة دول إن حصلت. وحدة الشعوب في "انتفاضة" واحدة من المحيط الى المحيط دليل على وحدة الشعوب.

ولم ير المؤتمر أهمية مطلب "الشعب يريد إسقاط النظام". والنظام هنا هو منظومة أنظمة أورثتنا إياها حركات التحرر الوطني وغاصت حتى أذنيها بالتبعية.

إرادة الشعوب كانت كما أعلنتها شعارات الثورة: "عيش، كرامة، عدالة اجتماعية". وأن الحائل بينها وبين ذلك هو الأنظمة. رفضت كل الإرث المتراكم من إلقاء لائمة التخلف والتأخر على الخارج، وإن الحل في الداخل. ورفضت الشعار الديني "الإسلام هو الحل". لم يفهم الإسلاميون معنى ذلك، وسقطوا بسبب ذلك. اعتبر هؤلاء أنهم سوف يركبون موجة الثورة لكن المواجهة أزاحتهم. كانت المواجهة بين الناس بثورتهم والثورة المضادة. فهمت الطبقات الحاكمة العربية مغزى الثورة (الثورات العربية)، فتضامنت للقيام بثورة مضادة عن طريق القمع حيناً، والحرب الأهلية حيناً آخر، أو التنازلات في بلد آخر، أو بذل المال للناس لإسكاتهم في بلد نفطي. لا تعرف الثورة المضادة، وهي طريق الأنظمة الحاكمة، على اختلاف ميولها الاستبدادية سياسياً أو دينياً، سواءً عربية أو إيرانية أو تركية، سوى العنف والقوة، انتهاءً بالحرب لمواجهة شعوبها وقمعها.

المهم في الثورة العربية، حتى فيما يتعلّق بقضية فلسطين، أن التعويل على الداخل لا الخارج هو الأساس، وجوهر ذلك هو العمل والتقدم والإنتاج من أجل عيش كريم وعدالة في التوزيع. وفي ذلك خالف العرب طريق الأتراك والإيرانيين بعد معاناتهم من التدخل الخارجي في بلاد العرب واحتكار قضية فلسطين (ايران)، واستبدال العروبة بالمقاومة (إيران)، والتلاعب على القضية العربية والفلسطينية (تركيا). وأعلنت الشعوب العربية تجاوز عقدة الخارج، والاتجاه الى داخل كل قطر عربي للإصلاح والتقدم. تُعاقب الشعوب العربية على هذا الخيار، وكان التطبيع مع إسرائيل أحد أشكال العقوبة.

وخيضت في المشرق العربي على الأقل حرب عالمية ضد الناس، شاركت فيها روسيا التي تخوض حرباً في أوكرانيا، والتي "ركبت رأسها" بعد مجازر ارتكبت في الشيشان، ثم دخولها جورجيا، ثم قازاخستان ضد شعبيهما دون مواجهة؛ وهي التي تخاض ضدها حربا عالمية بعد أن "خدعوها بقولهم حسناً"، كما فعل الأميركيون مع صدام حسين وخداعه ليدخل الكويت ويشن قبلها حرباً ضد إيران، التي لم ينقذه منها إلا التدخّل الأميركي بسلاح سُمي نوعياً لإجبار إيران والخميني على تجرّع كأس السم عام 1988.

حروب تحل فيها السياسات الجيوبوليتيكية بين الدول مكان صراعات الداخل. وأهم صراعات الداخل هو الصراع الطبقي الى جانب الصراعات الإثنية القومية. حروب عالمية موضعية تجتمع فيها قوى النظام العالمي العظمى والعظيمى في مكان واحد بدل أن تكون في كل الأماكن على الأرض. في كل منها خطر استخدام السلاح النووي أمر وارد. حروب إبادة وأرض محروقة، كما في سوريا والعراق واليمن وأوكرانيا الآن. يختلف أطراف النزاع العالمي في أوكرانيا لكنهم يتحالفون ضد شعوب منطقتنا العربية. للعرب معاملة خاصة في النظام العالمي. هذا ما لم يلحظه مؤتمر الشيوعيين اللبنانيين. والمسألة ليست في حركات تحرر وطني تواجه التبعية بل في إيغال هذه الحركات في التبعية والتحالف مع ما تيسّر من امبراطوريات ضد الشعوب العربية. المسألة هي أن لا يستخدم مفهوم "التبعية" في سبيل عزلة ثقافية عن الغرب وعلومه وثقافته. ينتهي الأمر الى الوقوع في فخ الأصولية الدينية. وأن لا تعتبر حكومات المنظومة الحاكمة العربية معادية للاستتباع. هي جزء من حرب إبادة ضد الشعوب العربية لصالح أنظمة الاستبداد والامبراطوريات التي تساندها.

انطلقت مقررات مؤتمر الحزب الشيوعي من رؤية للعالم، ترى من خلالها أوضاع المنطقة ثم أوضاع لبنان. هذه الرؤية هي في أساسها مغلوطة وغير صالحة لفهم ما يجري.

جوهر القضية النضالية ليس التحرر الوطني بمعنى تحرر المجتمع من الخارج، بل هو الحرية داخل كل مجتمع. كلنا مجتمعات مغلقة معدومة الحريات الفردية. والتحرر يبدأ من هنا لا من الخارج كما اعتبر ورثة حركات التحرر الوطني. مجتمع مفتوح لا يحيط نفسه بسياجات ضد الخارج، ومدافع عن الحرية والمشاركة، هو بداية السير نحو الاشتراكية. لا تجد الطبقات المقهورة والمستغلة نفسها (تعي نفسها) إلا في مجتمع من هذا النوع.❑❑

MEMORIAL UNIVERSITY

حكاية من الفولكلور الكوردي

الدب الممتن

ماجد الحيدر
العراق

❑ يحكى أن صياداً اعتاد أن يخرج كل يوم للصيد في البراري والجبال. في أحد الأيام صادف في طريقه دباً فأراد أن يقتله ، لكن الدب استلقى على ظهره ورفع كفيه الى الأعلى كما لو كان يتوسل اليه. عطف الصياد على الدب وامتنع عن قتله. انتصب الأخير قائماً وأمسك الرجل من يده وأخذ يقتاده بعيدا. قال الصياد لنفسه:
- قسماً بالله، هذا الدب يريد مني أن أفعل شيئًا من أجله.

سارا وسارا حتى توقفا تحت شجرة. وضع الدب رأسه بين يديه كما لو كان يطلب من الصياد أن يخفض رأسه كما يفعل هو، ثم قاد الرجل من يده إلى شجرة أخرى، فرأى اثنين من الدببة، ذكر وأنثى وهما يتضاجعان.

أمسك الدب ماسورة البندقية وصوبها إلى الدبة، كما لو كان يطلب من الصياد أن يقتلها. صوب الصياد البندقية نحو الدب الذكر، لكن الدب وجه البندقية مرة أخرى باتجاه الأنثى. أطلق الصياد النار عليها فأرداها في مكانها فيما هرب الدب الذكر واختفى بين الأحراش. احتضن الدب الصياد وحمله بين يديه حتى اقتربا، وقد حل الليل، من قريته فأنزله أرضاً وظل يسير معه حتى بلغا بيته فرفع مخالبه وكأنه يلوح بالوداع ثم استدار غائباً عن الأنظار.

وفي ليلة شتائية باردة مثلجة وممطرة، عندما كان الظلام الحالك يلف كل شيء، سمع الصياد صوت دقات خافتة على الباب فانتابه الخوف، لكنه أمسك بندقيته وفتح الباب قليلاً ونظر من خلاله؛ هناك كان الدب، مرتدياً معطفاً ثقيلاً وواقفا على قدميه ممسكاً بهراوة في يده وهو يشير إلى قطيع من الأغنام التي كان يسوقها. وضع الرجل يده على حلقه وأشار بحركة منها إلى أن الدب لم يأتِ بفعل جيد وأنه سيسبب له الكثير من المتاعب. لكن الدب نجح، ببعض الدمدمات والإشارات، أن يفهم الصياد بأنه جلب هذا القطيع من مكان بعيد جداً، ثم حياه واستدار مبتعداً.

في صباح اليوم التالي استغرب أهالي القرية من كل هذه الأغنام التي كانت بحوزة الرجل، لعلمهم بفقر حاله وقلة أغنامه وأملاكه. لذلك بدأوا يتساءلون ويتناقلون النمائم والأقاويل حوله. لكن الصياد قال لهم:
- كان والدي يملك الكثير من الخراف، وقد وضعها تحت رعاية أقرباء لنا في قرية وراء الجبال، غير أنهم عجزوا في الآونة الأخيرة عن توفير علف لها فأعادوها اليّ. وسوف أضطر على أية حال، الى بيع القسم الأكبر منها والإبقاء على بعضها فقط.

وهكذا باع الكثير منها وصار ميسوراً بين ليلة وضحاها. ومرت الأيام، وفي ليلة شتائية مشابهة عاد الرجل الى سماع طرقات مكتومة على الباب فقال مع نفسه:
- أقسم بأن الطارق هذه المرة هو الدب لا غير.

وعندما فتح الباب ونظر الى الخارج رأى الدب وقد شد زوجاً من أحزمة الخراطيش على صدره ، وفي يده بندقية لم يكن الأخ ليبيعها لأخيه في ذلك الوقت بألف دينار. دار رأس الرجل من المفاجأة، لكنه سحب خنجره ووضعه فوق رقبته كي يُفهم الدب بأن هذا الفعل من شأنه أن يكلفه رأسه. بيد أن الدب أخذ يهدر ويشير الى البعيد وكأنه يريد إخبار الصياد بأنه جلب هذه الأشياء من مكان قَصيّ وبأن لا خوف عليه من امتلاكها. التقط الصياد البندقية والحزامين وانحنى للدب شاكراً ثم صنع حركة بيديه يخبره فيها بأن هذا يكفي وبأن لا حاجة للدب بجلب المزيد.

لكن الدب عاد مرة أخرى وكان يحمل على ظهره جرة كبيرة مليئة بالزيت. ساعد الرجل الدب في إنزال الجرة ثم أخذ يتوسل اليه بكل ما يستطيع إتيانه من إشارات وحركات كي يكف عن إحضار المزيد من الهدايا وليفهمه بأنه لم يفعل شيئاً سوى قتل تلك الدبّة، ولكن أنى للدب أن يتوقف عن مكافأة الصياد والتعبير عن امتنانه له لأنه قتل تلك الدبة.. تلك الدبة التي كانت تخونه مع غريمٍ فتيّ!؟ ❑❑

الوحي الإلهي حقيقة ام خرافة؟

بطاقة هوية:
باحث من العراق متخصص في دراسة الاديان الابراهيمية.
صحفي، كاتب ومترجم، كتب في اللغة العربية والانكليزية، نشر العديد من الكتب، خريج جامعة بغداد كلية الآداب، قسم اللغة العربية.
درس في المعهد البريطاني للترجمة في بغداد، عمل في مكتب الجالية العربية للترجمة في تورونتو، كندا، درس اللغة الاسبانية في الثانوية السويدية لمدة عامين، درس علم النفس والتاريخ وعلم المجتمع في اللغة السويدية في ستوكهولم في ثمانينات القرن الماضي.
عمل مترجما في سفارة جمهورية العراق في ستوكهولم من العام 2000 الى العام 2004، عمل مدرساً للغة العربية في الاعوام 1979 الى الاعوام 1980 ثم مترجماً في الاعوام 1980 الى 1982.
قام بنشر العديد من المقالات في صحيفة القلم اذ رأس تحريرها الدكتور ابراهيم الداقوقي في كلية الآداب جامعة بغداد، في العام 1976 كبديل عن جريدة الصحافة الصادرة عن قسم الإعلام بكلية الآداب، واستمر اصدار الصحيفة الى العام 1982.
شارك في العديد من الندوات الفكرية في التلفزيون العراقي في برنامج كتاب في اسألة.
وعمل في الاعوام 1974 الى العام 1977 في جريدة طريق الشعب، الجريدة المركزية للحرب الشيوعي العراقي.
ساهم في نشر مواضيع فكرية في جريدة طريق الشعب في بداية قيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في العراق عندما ربط الاسس النظرية للأشتراكية العلمية من خلال تلائم الفكر الماركسي بما يتناسب مع الفكر والواقع الاجتماعي للمجتمع العراقي.
عضو اتحاد الكتاب السويديين

***

❑ البحث في عقيدة الوحي الإلهي من اصعب البحوث لأنها تقتصر في العلاقة بين طرفين لا ثالث لهما، بين الوحي والرسول او النبي او المتلقي حالة استنارة الروح او العقل في كيانه الشخصي، ذلك ان المستنير لم ير الذي ارسل الوحي لتبليغه الأمر الإلهي. بل ان النبي انكفأ على ذاته فعاش الحالة الوجدانية بكل ما تحمله شفافية الوجدان من انطلاقة روحانية تجتاز الافق وانفتاحه في تلقي الخيال الديني. إن المعضلة التي تواجه المؤمن بعقيدة الوحي غير تلك التي يوجهها المفكر العلماني، ذلك ان المؤمن لا اشكالية عنده في تلقي الغيب والإيمان به عبر قنواته السرية التي امتلك اسرارها النبي او المرسل عبر تعاليم الوحي. لهذا حصل الإنقطاع بين عقلية المؤمن وغيره من المطالبين بيقينية اعمق بهدف جعل العقل مطواعاً لما تفتق في الق الخيال من ايمان توصد ابوابه الشفافية، لكن في الجانب الإيماني تسلق عبر الخيال الديني من هم اعمق في ايمانهم باتجاه التقديس والغوص في الذات الإلهية اي على سبيل المثال ينطلق العقل المؤمن بدل الاستغراق في عقيدة الوحي والتخبط في متاهات اسرارها الى الذات الإلهية فليس هناك وسيط بين الله والمتلقي في عوالم الوله، فالتجربة الصوفية تجربة ذاتية يعيشها المؤمن في محنة توحد الروح في خياله الديني المتعطش الى استحضار ذاتية المصدر الروحاني، هو بذلك يزج العقل في متاهات الظن العنيد كي يستشف من خلال روافد الإيمان الأعمق فتراه يعيش اليقين الإيماني في احتراق الذات في اعماق الغيب المجهول.

على ان تجربة متصوف آخر تختلف جوهرياً بأدواتها وتأثيرها عليه، لهذا تكون التجربة متغيرة ومغايرة للمعنى الظني والإيماني الى حد التناقض في طريقة الاستحضار الروحانية للذات الإلهية. رغم ان المتصوف يريد الإتحاد بالذات الإلهية وكان يفترض ان تكون تجربة الذات هي نفسها، بيد ان اي متصوف عاش التجربة الروحانية على اعتبار ان المصدر في عوالمه الروحانية التي بحثت عن الذات الإلهية نفسها، اختلاف التجربة يعني زج العقل ودفعه عنوة في ان ما يريده المتصوف يجب ان يجعل عقله تابع بما اراده ايمانه. التجربة هنا اقحام العقل في متاهات الإيمان لهذا نرى اختلاف التجربة الشخصية، هذا الإختلاف لم يكن بسبب تبدل الطبيعة الإلهية انما الغوص في متاهات المتصوف العقلية كي يأتي ايمانه لما توحي له دوافعه الشخصية التشبث بعالم ليس فيه منفذ لليقين الشخصي بما يجعله صار قريبا من الذات الإلهية بل يعني غاص بعقله في متاهات الوهم واستخرج من ظلماته ما جعل تجربته الذاتية اقرب لليقين مما كان يشتهي ويتمنى. إن زج العقل في متاهات الخيال الديني تجعل انفصام الذات عن واقعها اشبه بالجنون العقلي المترف بخيال الإيمان تماما كسراب يحسبه الظمآن ماءً. لقد سقطت التجارب الصوفية وانهارت وتحولت الى هوس ذاتي مريض لم تقدم الدليل على ذاتية الإله المتحصن في الغيب المجهول. هكذا نرى التشابه الكبير بين التجارب الصوفية في محاولة استحضار الذات الإلهية والتجارب الذاتية للأنبياء عبر عقولهم المستنيرة في ايجاد الوسيط الروحاني بينهم وبين الله.

على مدى التاريخ الديني الذي امتد قرابة 14000 عاماً تطورت فيه المعتقدات الروحانية للشعوب حتى بلغت آلاف الأديان والطوائف، انتقلت من التعدد الوثني إلى الإله الواحد غير المرئي، فترة طويلة دفعت فيها البشرية صراعات التراث الديني دفعت فيها البشرية عشرات الملايين من قتلى المعتقد على مدى التاريخ التي كانت ومازالت تعاني محنة السر الغامض في الوحي الإلهي. تلك التحولات الإعتقادية تركزت في الأديان الأكثر تطوراً في المؤسسة الدينية، حين استلهمت وجودها لهذا السر المحكم في جدلية الوحي اذ تفردت فيه الأديان الإبراهيمية وجعلته سراً لا يخترقه العقل الإنساني مهما بلغ مراحل زج الذات في العقل الواعي والغائب في عالم التصوف.

اتسمت الديانة اليهودية عبر تاريخها الطويل بتبلور عقيدة الوحي واتساع مداها وتأثيرها فاندمجت عقيدة الوحي بالنبوة، لما للنبوة من تأثير على مسار الشعب اليهودي الجريح عبر تاريخه القاسي وفقدان هويته القومية داخل الامبراطورية الرومانية، فلقد اثر السبي البابلي في تفتق الخيال الديني فتم استحضار الوحي الإلهي كعزاء للهزيمة والتشبث بالأمل في عودة مجد اليهود، لذا كان الوحي متنفس الذات في انكسارها عبر المحن المريرة التي عاشها. حتى بات الإلهام اسلوب وخطاب الوحى من الله فزاد عدد الذين يزعمون ان لهم قناة اتصال من خلال وحيه الإلهي، لكن تاريخ الوحي الإلهي عند هؤلاء ليس دائماً دليل الزعامة الدينية انما تم انكشاف امر الكثير منهم في اوهام اتصالهم بالغيب. نقلت المسيحية عالم الغيب والاتصال بالوحي الى شخص المسيح، حتى صار المسيح الوحي المباشر لله والذات الإلهية التي ارتدت الطبيعة البشرية. لم توجد عقيدة الوحي فاندمج الوحي والإله في شخص المسيح حتى حلت فيه الذات الإلهية وصار الاقنوم الثاني في عقيدة الثالوث. اختزلت المسيحية عقيدة الوحي في شخص المسيح، اي انها استدركت على انبياء بني اسرائيل عقيدة الوحي الإلهي وكان هذا احد اسباب صلبه.

باسم عبدالله
العراق

اسلامياً تناقضت عقيدة الوحي بمفهومها اللاهوتي، اذ تعددت اشكال الوحي فربما تكون على شكل رؤيا كما في منام ابراهيم او بكلام من وراء حجاب كما اخبرنا موسى، او اللقاء المباشر بالوحي عن طريق جبرائيل او عن طريق الإلهام بأن يعيش المؤمن احساس الغيب بمشاعر تلقي الوحي " واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم .. " واوحى الى النحل " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا .. " " اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم .. " تتوسع عقيدة الوحي بالأفكار اي ان النبي قد تلقى كلمات يصوغها باسلوبه الخاص بما يناسب المعنى الذي اراده الله. آمن الكثير بنظرية الوحي الإملائي اي ان الله استخدم كتبة الأسفار التوراتية مجرد ادوات كتابة تسجل ما اراده بلا ان تكون لهم عقول تميز صحيح القول من فاسده. هذا المبدأ في مفهوم الوحي لا يفسر لنا سبب الاختلاف بين اسلوب موسى عن غيره من كتبة الأسفار المقدسة ان كانت حقاً صادرة عن الله. على ان الوحي الإلهي قد يكون الله نفسه من يوحي " يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ" . يبين النص ان مفهوم الوحي يختلف من حالة لحالة، ولا يفترض فيه ان يكون شخصاً مستقلاً بل الكثير من الرسائل الرمزية توحي عن طريق الإلهام او المنام. تبقى نظرية الوحي الطبيعية تتجسد في انها بصيرة سامية لدى الإنسان اي انها حس ديني تكوّن مع ولادة الإنسان ومن خلاله يدله هذا الحس الى طريق الحق، فالوحي هنا بمعنى جزء من ذاتية الإنسان وليس هناك كيان روحاني خارج عنه. الوحي على هذا الاساس نوع من الإلهام الطبيعي الذاتي يعتري الإنسان كما يتعرض الإنسان الى حالات الإلهام في كتابة القصائد الشعرية او الكتابات وبتوراد الافكار والخواطر. اما الحالة الروحانية فالوحي لا يتعدى دوره التبليغ عن الأمر الإلهي اذ ليس دور الوحي نقل النبي في عوالم خارج حدود رسالته الأخلاقية لقومه، اما نقل النبي للسماء كما حصل لمحمد، اخنوخ، ايليا، المسيح، ملكي صادق، ويونان " يونس " في جوف الحوت، وسفينة نوح، وقصة ايوب، فهي قصص خيالية لا علاقة لها بعمل الوحي، ذلك ان طريقة انتقال النبي من الحالة الوجدانية والالهام الى حالة السيطرة على

الطبيعة تخرج كونه نبياً وتبعده عن هدفه الأخلاقي والروحاني للمجتمع. وقد حاول القمص حلمي يعقوب في سلسلة كتب مدارس النقد والتشكيك والدفاع عن نظرية الوحي الإلهي، والرد على النقد الكتابي في الكتاب المقدس بجزأيه العهد القديم والجديد، لكن دفاعه لم يخرج عن تغليب المنطق الروحاني لدعم الإيمان بعقيدة الوحي بلا دليل منطقي وعقلي.

الفلسفة الهندية القديمة كانت منافس قوي للبوذية كانت ترى ان من المستحيل الحصول على معرفة من خلال الطبيعة الميتافيزيقية، هذا بمعنى ان العقل الواعي للنبي لا يتلقى المعرفة الحسية في الإطار الروحاني للوحي، كون نظرية المعرفة اذا كان الايمان فيها يحمل الحقيقة كما اشار افلاطون " ان الإعتقاد حامل الحقيقة الاكثر شيوعاً" . لكن الإعتقاد بوجود الوحي الإلهي شي والتجربة الشخصية في متلقي خبر الوحي شي آخر. إن تاريخ الشعوب في موروثها الديني اكسبها الى حد بعيد عقيدة الإيمان بالغيب اذ ان ايمانها بالكتابات الدينية او كلام الله ليس للمؤمنين اي منفذ على الوحي الا من خلالها، كما اشار ذلك محمد اركون في كتابه الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص 77-88 ، هكذا صار التفاعل الإنساني مع الكتب المقدسة قد نزع عنها صفة القداسة وجعلها منغرسة في التاريخ والواقع، اي ان النص الديني من خلال تدوين المقدس عندما استند على الواقعية التاريخية ازال تقريباً سر الوحي الإلهي وجعله ضمن التقليد الإجتماعي اذ ان فعل الوحي انعكاس للواقع العقلي للنبي في صلته المباشرة مع احداث قومه.

كذلك نرى ان الوحي منغرس في التاريخ لا يتجاوز شأنه الى افق ميتافيزيقي غير منظور، وكما اشار علي احمد سعيد في كتابه الثابت والمتحول ج 1 ص 37 ، ان عبّر ادونيس عن الطابع التاريخي للوحي إذا افترضنا أن الدين خاتمة المعرفة ونهاية الكمال فذلك يعني أنه لا يمكن أن ينشأ في المستقبل ما لم يكن متضمنا فيه؛ فالوحي تأسيس للزمن والتاريخ أو هو الزمن والتاريخ، وهو الزمان كله ماضيه وحاضره ومستقبله، وبهذا المعنى يستحيل أن يكشف المستقبل عما يتجاوز الوحي، بل هو مجرد حفظ واسترجاع ، كما نرى يتقلص دور الوحي وتتراجع روحانيته لانه يصب في اطار حركة التاريخ التي يفرضها الوعي الذاتي للنبي ولا حاجة له محاولة زج الغيب في الإطار الذي ليس فيه منفعة حقيقية للشعوب في احتماليات المستقبل الذي يمكن ان تتكهن فيه اي عقلية غير متدينة. اذا كان شخص المسيح هو الاندماج الصارم بين الذات الإلهية والوحي الإلهي قد تحدث مع قومه باللغة الآرامية، هي اليوم لا وجود واقعي لها، فكيف ازال الله لغته ثم انتقل الى خطاب اليهود باللغة العبرية؟ تماماً كما فعل مع موسى وغيره من انبياء بني اسرائيل، وكيف انقلب الوحي الإلهي في الاسلام من مؤيد لشعب الله المختار الى معاد لهم؟ فهذه واقعية تاريخية امتزج فيها المعتقد مع المصلحة القومية ولا علاقة لها بالوحي الإلهي.

إسلامياً ان عقيدة الوحي اندرجت في الحالة النفسية، العقلية والوجدانية للنبي نفسه عند تلقيه الوحي، كذلك لقد اظهرت روايات واحاديث المراجع الدينية تناقض النص الديني، والقراءات السبعة وتداخل العديد من المفردات غير العربية، وعدم واقعية النص في الآيات التي اثبتت عدم صحتها علمياً، تاريخياً ولغوياً، فلقد كان النبي يتفصد عرقاً يسيل من جبهته وجبينه في اليوم الشديد البرد، ففي حديث نبوي " إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أَنَّه لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا " اي ان حالة الوحي عنده حالة يعيشها قلبه، ونفسه ووجدانه، من غير ان يراه ويسمعه كما ورد ذلك في كتاب فيض القدير ج 2 ص 571 ، فحالة الإنفصام الذاتي حالة عقلية لا علاقة لها بحقيقة التعامل مع الوحي. وفي حديث رواه البخاري 2 ومسلم 2333 " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي.. " فهذه الإنفصام حالة عقلية، لا يمكن فيها تعامل العقل في حالة تلقي الوحي، قالت عائشة : " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا " وفي رواية مسلم 2334 يتغير وجه النبي ثم يحمر يتغير البياض الى سواد. فهل هذه حالات تلقي الوحي؟ تعاملت مريم ام المسيح في النص الديني عند هبوط الوحي بعقلانية مستقلة بلا اعراض انفصالية، وكذلك لم تظهر سيرة موسى عن حالات انفصالية عندما اعتكف لوحده مع الهام الوحي.

ان التعامل مع الوحي خارج سلطة النبي او المؤمن ففي الحديث ان ام سلمة قالت " لا اسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء " فنزلت آية " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض" وفي رواية عن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إني أردت من أهلي البارحة ما يريد الرجل من أهله ؛ فقالت : إنها قد نامت فظننتها تعتل فواقعتها، فجاء النص" أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم " فنحن امام حالة وحي حسب الطلب لتحقق رغبة الناس وكسب رضاهم. لعل كتبة الوحي خير دليل على صحة كتابة النص وحياً، فهذا عبدالله بن ابي السرح، لقد ارتد ونزلت في شأنه آية " ومن أظلم ممن إفترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوحى إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله " فهذه الآية كانت تتحدث عن دعوة محمد لعبدالله بن ابي سرح عندما بلغ النبي للآية " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم انشأناه خلقاً أخر... " حتى قال عبدالله " تبارك الله احسن الخالقين " فقال محمد " هكذا نزلت علي " فشك عبدالله وارتد عن الإسلام. في خطأ تقدير الوحي للواقع ما يلغي احتمال العلاقة الروحانية بين الوحي والنبي تمثل ذلك في شأن العديد من الآيات القرآنية، والتي اثبتت عدم حقيقتها للواقع ولتناقض احكامها ونسخها مباشرة لتحل آية اخرى محلها فهذا التعديل في النص بين الناسخ والمنسوخ اضر بمصداقية علاقة الوحي بالنبي، فعلى سبيل المثال في سورة الانفال 65 تناقضها الآية 66 وتجعل الله لا علم له بالغيب، يندم ويتراجع عن ذكره للفقرة 65، هكذا هيمنت آيات الناسخ والمنسوخ في القرآن الى حالة شمولية اثبتت بشرية كاتب النص. " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ " لكنه تراجع " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " فكيف نفسر النص ونقيضه، هل على اساس عبقرية الوحي ام قصور فكر النبي كحالة بشرية تصيب وتخطأ؟ الرؤية الدينية للوحي تصطدم في الكثير من المعوقات العقلية والدينية للمسلم المعاصر اذ يريد الإيمان بالنص على اساس ميزان العقل وليس النقل حتى بات التدين على حساب العقل وهذه هي محنة الفكر الديني الذي افرط في النص المتناقض وتحول لميول شخصية لا علاقة له بالقيم الروحانية. يجب تطوير النص الذي يعارض العقل بما يخدم المعتقد المعاصر للدين وليس بحسب الإطار الشكلي والتراثي للنص، لان تلك النصوص لم تثبت واقعيتها كنصوص أتى بها الوحي للنبي.

هناك روايتان تقدحان في مصداقية نزول الوحي الإلهي على النبي محمد، تتعارضان وتجعلان امر الوحي امراً مستبعداً فلقد ذكر علي احمد الواحدي في كتابه اسباب نزول القرآن، طبعة 2 ص 446 ، ان محمداً اعتزل في غار حراء مدة شهر، فإذا به يسمع صوتا يناديه، فالتفت من حوله ونظر عن يمينه وعن شماله فلم يرَ أحداً، ثمّ سمع الصوت يناديه مرة أخرى، فما أن رفع رأسه إلاّ وقد رأى جبريل على العرش في الهواء. ثم هناك رواية عائشة، التي ذكرت وجود النبي في غار حراء ولم يبرح مكانه عندما نزل عليه الوحي وقرأ له سورة القلم. رغم ان عائشة لم يكن عمرها يزيد عن 5 سنين. إلا انها نقلت حديثاً وكأنها شاهد اثبات لأهم عقيدة في تاريخ الإسلام.

إن وجود الله والطابع الشمولي لكيانه والاتصال به يتم من خلال الطبيعة والضمير، لا عن طريق الوحي، كذلك يقر المسيحيون بوجود وحي خاص هو التواصل مع الله من خلال الكتاب المقدس ويسوع المسيح. عرض افلاطون القيم الروحانية للوجود ومهّد الطريق لقيام المسيحية كعقيدة دينية عندما ربط الذات بالجوهر، فالذات عالم الطبيعة المادي والجوهر يعني الفكر، الجوهر يكمن فيه العالم الروحاني، يمكن للجوهر ان يحل محل الذات، يحل في كل مكان بالوجود. بهذا يكون قد اعطي التبرير الفلسفي بحلول الله " الجوهر " في كل مكان، لقد انكر وجود الوحي الإلهي واعتبره حالة الجوهر، فالجوهر الكيان الروحاني غير مرئي للوجود اما ايجاد وحي مستقل يمثل كيان الجوهر او ينوب عنه فهذا من مجهودات العقل التي تضرب في اعماق الخيال لا ثمرة فيه ولا استنتاج لعقيدة. تنادي العديد من الأديان بالوحي الإلهي من اجل تبرير معتقداتهم المميزة عن الله، لكن الطابع العملي لهذا الوحي طابع معرفي، اي تزويد المتصوف او النبي حالات احساس الخروج عن الذات ليعيش حالة الإحتراق فيستنير عقله في انفصاله عن الذات وهذا ما وقع لمحمد، فمحمد لم يبرهن بوجود الوحي لكنه برهن ان عقله احترق داخل كيانه في البحث عنه.

الوحي كان ومازال مركز بحث علم اللاهوت، فهذا امر فلسفي اكثر من كونه حالة لاهوتية يمكن الإيمان بها والدفاع عنها لانها حالة عقلية ليس اكثر، فتبرير الإدعاء بتلقي الوحي انما يجسد الحالة العقلية للمؤمن في مدى قدرته على حرق ذاته حتى يعيش في خيال عقله قد زج فيه بأنوار الملأ الأعلى، ان هذا المجهود العقلي لا يمكن للعقل اختباره ذلك ان العقل وعاء مادي ومفهوم الوعي حالة عقلية هدفها اقناع الذات ان صاحب المعتقد قد استنار في العالم الروحاني، الأمر يتميز فيه المؤمن بخوارق النفس في عوالم الخيال. يبقى مفهوم الوحي يلغي دوره النص القرآني : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ .. " " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .. " فما اهمية الوحي اذا كان الله قريباً لعباده بهذا القرب الشديد؟ اننا امام حالة دينية ومعتقد راسخ في العقول " عقيدة الوحي" فهل تمثل حقيقة في التراث الديني؟ ان المؤسسة الدينية كلها معتقد غيبي، وعقيدة الوحي دخلت لجعل الزعامة الدينية لتبقى اطول مدى لم تثبت حقيقة وجودها بل تم اثبات عدم مصداقية وجودها. تبقى الحالة الذاتية للنبي في تلقيه خبر الوحي، يستحيل زج الذات الشخصية في النص الصادر عن الوحي الإلهي، فهذا امر لم يتفق مع رسالة الوحي في العقيدة الإسلامية اذ تضمنت العديد من الآيات القرآنية مخصصة للنبي وشأنه العائلي، فلقد احل لذاته الكثير مما لا يحل لغيره فهذا امر لا علاقة له بالعقيدة الدينية للوحي. استنتاجاً ان حالة الوحي تعكس مدى انتشار عقيدة الغيب للشعوب، ان زادت، زاد معها الإيمان بالوحي الإلهي وان كانت مجتمعاتنا واقعية تجعل للعقل مكانة في النقد والتحليل فسيبقى الوحي الخيال الجميل في تاريخنا لا يزيد عن كونه واحداً من اجمل قصص التراث الخرافية.❑❑

الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية الكعبات

سيد التمني
مصر

❑ هكذا تناثرت — في الوسط الاجتماعي العربي — جماعاتُ البشر على هيئةِ قبائلَ متنافرة؛ لا حكمَ فيها ولا سلطة إلا للعُرْف القَبَلي، الذي يختلف بدوره باختلاف القبائل وظروفها. ومع تعدُّد القبائل تعدَّدت المشيخات وكثر الشيوخ وأبطال الغزو؛ أولئك الذين تحوَّلوا بعد موتهم إلى أسلافٍ مقدَّسين، وأقام لهم أخلافهم التماثيلَ والمحاريب، ليلتمسوا عندهم العون كلما حزبهم أمرٌ أو حلَّ بهم جَلَل. ومن أجل هؤلاء الصالحين السالفين، أُقيمت بيوت العبادة، وشُرعت طرقُ التقرب إلى الأرباب أو الأسلاف (الربُّ لغةً هو سيد الأسرة أو القبيلة، وهو بَعْلها)؛ ومن ثَمَّ تعدَّدت الأرباب بتعدُّد الأبطال والصالحين الراحلين، و«بتعدُّد الأرباب تعدَّدت الكعبات»! حيث كانت الكعبة (البناء المكعب) هي الصيغة المعمارية المفضَّلة لبيوت أرباب الجاهلية، وأحيانًا أخرى كانت هذه الكعبات تُقام تقديسًا للأحجار الغريبة والنادرة؛ مثل الأحجار البركانية أو النيزكية، وكلاهما كان يغلب عليه اللون الأسود نتيجةَ عواملِ الاحتراق. ونظن هذا التقديس ناتجًا — إضافة لغرابة شكل الحجر — من كونه قادمًا من عالَم غيبي مجهول؛ فالحجر البركاني مقذوف ناري — من باطن الأرض وما صِيغَ حوله من أساطير قسمته طبقات ودرجات، واحتسبته عالمًا لأرواح السالفين المقدسين — كذلك الحجر النيزكي، وربما كان أكثر جلالًا لكونه كان يصل الأرضَ وسط مظاهرة احتفالية سماوية تخلب لبَّ البدوي المبهور؛ فهو يهبط بسرعةٍ فائقة محتكًّا بغلاف الأرض الغازي، فيشتعل مضيئًا ومخلفًا وراءه ذيلًا هائلًا؛ لذلك كان هول رؤيته «في التصور الجاهلي» دافعًا لحسبانه ساقطًا من بيوت وعرش الآلهة في السماء، حاملًا معه ضياء هذا المكان النوراني؛ ومن ثَمَّ كان طبيعيًّا أن يُحاط بالتكريم والتبجيل.

ومع كثرة الأحجار القادمة من عند الأسلاف، أو الهابطة من السماء، كثرت أيضًا الكعبات. وعن الكعبات ومَحَجَّات العرب يقول الباحث «محمود سليم الحوت»: «يجب ألَّا يخطر على بال أحدٍ أن مكة — وإنِ ارتفعَتْ مكانتها عن سِواها من أماكن العبادة — هي القِبْلة الوحيدة في الجزيرة؛ فقد كان للعرب كعباتٌ عديدة أخرى تحجُّ إليها في مواسمَ معينةٍ وغيرِ معينة، تَعْتِر (تذبح) عندها، وتقدِّم لها النذورَ والهدايا، وتطوف بها، ثم ترحل عنها بعد أن تكون قد قامت بجميع المناسك الدينية المطلوبة.»١

وقد اشتهر من بيوت الآلهة أو الكعبات ما وجدنا ذِكْره عند الهمداني: «بيت اللات، وكعبة نجران، وكعبة شداد الإيادي، وكعبة غطفان»؛٢ وما ذكره الزبيدي: «بيت ذي الخلصة المعروف بالكعبة اليمانية»؛٣ وما جاء عند ابن الكلبي: «بيت ثقيف»؛٤ إضافة إلى ما أحصاه «جواد علي»: «كعبة ذي الشرى، وكعبة ذي غابة الملقَّب بالقدس»؛ ومَحَجَّات أخرى لآلهة مثل: «اللات، وديان، وصالح، ورضا، ورحيم، و«كعبة مكة»، وبيت العزى قرب عرفات، وبيت مناة»؛٥ هذا مع ما جاء في قول الأستاذ العقاد عن «... البيوت التي تُعرَف بـ «بيوت الله أو البيوت الحرام»، ويقصدها الحجيج في مواسم معلومة تشترك فيها القبائل ... «وكان منها في الجزيرة العربية عدة بيوت مشهورة»، وهي: بيت الأقيصر، وبيت ذي الخلصة، وبيت رضاء، وبيت نجران، وبيت مكة ...

وكان بيت الأقيصر في مشارف مقصد القبائل، من قضاعة ولخم وجذام وعاملة، يحجُّون إليه ويحلقون رءوسَهم عنده ... «فالأمر الذي لا يجوز الشك فيه أن البيوت الحرام وُجِدت في الجزيرة العربية» لأنَّها كـانت لازمة ... وقد اجتمع لبيت مكة من البيوت الحرام ما لم يُجمَع لبيتٍ آخَر في أنحاء الجزيرة؛ لأن مكة كانت ملتقى القوافل؛ بين الجنوب والشمال، وبين الشرق والغرب.»٦ ويُفهم من العقاد أن هذه البيوت كانت محرَّمة ولها أيامها الحرام، لكن بيت مكة بالتحديد أخذ في التمايز؛ لموقع مكة العظيم على طرق القوافل التجارية جميعًا، حتى جاء وقت — كما قلنا — أصبحت فيه مكة ملتقى تجارة العالم، وأصبح أهلُها أهمَّ تجارِ الدنيا.

ويمكننا هنا التمييز بين مفهوم العربي الجاهلي لمعنى الألوهية ومعنى الربوبية؛ فالألوهية تعني إلهًا غير منظور يسكن السماء، ومن هناك يتساقط مِلَاط بيته الإلهي من آنٍ لآخر، على هيئة أحجار سوداء. في حين أن الربوبية تشير إلى تقديسٍ للأسلاف يتفق حجمه مع أهمية رابطة الدم عند العربي البدوي؛ وعلى هذا النحو عبَدَ النبطيون حجرًا أسودَ يرمز إلى الشمس كإله للسماء،٧ وعبَدَ الهذليون حجرًا أسودَ يرمز لمناة، وكان ذو الشرى حجرًا أسودَ، وكذلك كانت الكعبة المكية إطارًا لحجر أسود،٨ كما كانت باقي الكعبات تتسم بذات السمة؛ فهي أطر لأحجار سود. وسُميت هذه الكعبات بيوت الله لأن «كل بيت منها فيه حجر من بيت الإله الذي في السماء»؛ تمييزًا له عن الأرباب التي لم تكن سوى مجرد تماثيل أو أحجار بركانية تُوضَع في أفنية الكعبات؛ انتفاعًا ببركات الأسلاف الصالحين، وتشفعًا بهم عند إله السماء.

وواضح لدى أي باحث أن «هذا التفرق العقائدي، وتعدد العبادات والأرباب، قد ساعد بفعالية في زيادة الفرقة القَبَلية»، بحيث أصبح عائقًا دائمًا ومستمرًّا في سبيل المحاولات التي قامت من أجل خلق كيانات سياسية في جزيرة العرب. إضافة إلى الطبع القَبَلي الذي يأنف كبرياؤه وينفر من فكرةِ سيادةٍ سياسية واحدة — تلك المحاولات التي سبق أنْ أشرنا إليها — مثل محاولات زهير الكلبي، وعبد الله بن أبي، وكندة، والغساسنة، والمناذرة، وكان الدافع إليها جميعًا حُلْمًا وأملًا أجَّجَه الشعور الآتي بإمساك عنان تجارة العالم، ووجود هذا العالَم مسترخيًا ينزف في حروبٍ طالَ مداها بين الإمبراطوريات الكبرى.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن مثل هذه المحاولات اتسمت بروح العصبية العربية الخالصة التي تجلَّتْ بدءًا في اعتناق المناطق العربية الواقعة تحت النفوذ الإمبراطوري؛ أيديولوجيات أو مذهبيات دينية تخالف مذاهب الإمبراطوريات، حتى بلغ الطموح مداه في هجمات عربية متفرقة — لكنها شَرِسة — كرًّا وفرًّا، على حدود الدول العظمى، إلى درجةِ أن الشعور العربي بلغ أوْجَه متمثلًا في فرحٍ عام بالجزيرة كلها، عندما انكسر الفرس بعظمتهم وجبروتهم أمام حِلْفٍ عربي صغير لقبائل شيبان وعجل وبكر بن وائل؛ في وقعة ذي قار؛٩ مما دفع بالحُلْم إلى الخروج من ساحة التمني إلى ساحة التوقع، وربما التحقيق! مرهونًا بشرط واحد هو تحالف وتوحُّد كتوحُّد العرب في ذي قار؛ ذلك التحالف الذي بدأت تباشيره في شعور عام دفع الوفود القَبَلية من كل صَوْبٍ وحَدَب، إلى أن تحثَّ خُطاها بين الفيافي والقِفار نحو اليمن؛ لتهنِّئ معد بن يكرب أو سيف بن ذي يزن بطرْدِه الأحباش، وبعودة الحكم العربي إلى اليمن.

***

١ محمود الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص١٣٣.
٢ الهمداني: الإكليل، بغداد، ١٩٣١م، ج٨، ص٤٨.
٣ الزبيدي: تاج العروس، القاهرة، ١٣٠٦هـ، ج٢، ٢٧١.
٤ الكلبي: الأصنام، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٢٤م، ص١٦.
٥ د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد، د.ت، ج٥، متفرّقات صفحات: ١٨٠، ١٥٢، ١٥٣، ٢١٧، ٢٢٤.
٦ العقاد: طوالع البعثة المحمدية، ص١٣٠ و١٣١.
٧ د. خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، الطليعة، بيروت، ١٩٧٧م، ص٤٣.
٨ الحوت: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص٥٩–٦٢.
٩ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٠٠.❑❑

عن الحوّامات التي أسقطت حواجز اسمنتيّة على مدينة إدلب

عبد الرزاق دحنون
سورية

❑ لماذا لا يدربون الحوَّامات
على جني العسل من أشعة الشمس؟
الشاعر التشيلي بابلو نيرودا من كتاب التساؤلات

حكت لي جارتي أم عُبيدة أنّ رئيس فرع الأمن العسكري في دمشق سألها حين سافرت من إدلب إلى دمشق لزيارة ابنها الذي يخدم مُجنّداً إلزاميّاً في هذا الفرع منذ أكثر من خمس سنوات، ولا يستطيع زيارة أهله في إدلب-لا يُريد الانشقاق عن الجيش العربي السّوري- فكانت هي من يذهب لزيارة ابنها. قال لها رئيس الفرع في دهشة واستغراب، والحيرة ما تزال في تعابير وجهه، وقد مضى أكثر من عام على دخول الثوار مدينة إدلب: كيف دخلت المجموعات الإرهابيّة المسلّحة المدينة ومن ساندهم، هل تعاونوا مع أهل المدينة حتى دخلوا هيك فجأة "طب غم" وما أشكالهم، هل بينهم أجانب، وهل كانت أعدادهم كبيرة كما يُقال؟

على أم عُبيدة أن تبتكر جواباً مُقنعاً حتى لا يُعرقل جوابها خطة زيارة ابنها، ولابد أن تكون حذرة في اختيار كلماتها حتى لا تقع في المحظور ويحصل ما لا يُحمد عُقباه. قالت: سيدي نحن لم نكن نصدق ما يُشاع بأنّ المجموعات الإرهابيّة المسلّحة دخلت المدينة، لأننا كُنّا محبوسين في بيوتنا ولم نخرج منها مدة ثلاثة أيام، كُنّا نسمع صوت إطلاق القذائف وزخات الرصاص الكثيف فقط، وحين خفَّت شدّته وسكن، خرجنا من بيوتنا، فوجدناهم أمامنا في الشوارع والساحات.

مع الأيام أصبح دخول الثوار مدينة إدلب لغزاً محيّراً في أعين أهل السلطة السورية. وصار السؤال يتردد كثيراً فيما بينهم -وعلى أعلى المستويات- كيف دخلت هذه العصابات المسلحة المدينة بهذه السهولة وفيها ما فيها من قطعات الجيش والأفرع الأمنية وحزب البعث الحاكم والمحافظ؟

إذا أراد المرء أن يعرف كيف دخل الثوار مدينة إدلب عليه أن يعرف كيف خرجوا منها قبل ذلك. وكلّ من يطرح هذا السّؤال سيخطر في باله مستهل المقال المشهور الذي كان يكتبه الصحافيّ "حسني البورظان" في مسلسل صحّ النوم "إذا أردنا أن نعرف ماذا في إيطاليا، فعلينا أن نعرف ماذا في البرازيل" ومعرفة ما جرى في مدينة إدلب أبسط مما يعتقد أهل السلطة. وبما أنني من أهل هذه المدينة وعشتُ تفاصيل خروج الثوار منها وعودتهم إليها بهيئة جديدة بعد ثلاث سنوات من خروجهم بقوة السلاح. فأقول: أيقظني في فجر يوم السبت العاشر من شهر آذار عام 2012 صوت جنازير المدرعات من دبابات وعربات "بي أم بي" والتي تسير على الأسفلت والقادمة من جهة طريق أريحا - المسطومة- إدلب. كان عدد المدرعات كبيراً، فهدير محركاتها أيقظ سُكان المدينة.

خرجتُ من بيتي إلى الشارع قبل آذان الفجر أستطلع الأمر، فلمحتُ في غبش الفجر في إحدى زاويا الحارة ولداً من أبناء الحارة في الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمره. كان يحمل بندقية صيد ألية "كمبكشن" لمع معدنها "النكل" في الظلام، و"يتمنطق" أو يتحزَّم بنطاق من الخرطوش. سألته: ماذا تفعل؟ قال: ألا تسمع صوت هدير الدبابات؟ قلتُ: بلا، أسمعها، وماذا ستفعل أنت؟ قال: سأُدافع عن الحارة. قلتُ له: قواك الله. وعدتُ إلى البيت، أيقظتُ الأولاد وأمهم من النوم وحملنا في أيدينا بعض الحاجيات الضرورية وغادرنا الحارة إلى مكان أكثر أمناً في حارة ثانية عند أهلي وتركنا باب البيت مواربا حتى لا يُكسره الجنود بعد دخول الجيش المدينة وتفتيشها. وقد نسي ابني -سامحه الله- علم الثورة في البيت، فنال البيت نصيباً وافراً من التخريب والنهب وهي مفارقة مذهلة في دلالتها.

كانت الأجهزة الأمنية بكافة فروعها قد حوصرت في نهاية عام 2011 في المربع الأمني من قبل أكثر من مئة شاب مسلح من أهل المدينة. وكانت المظاهرات اليومية قد سيطرت على أغلب شوارع المدينة باستثناء ساحة هنانو التي يُطل عليها تمثال المجاهد إبراهيم هنانو وحولها دار الحكومة والبلدية وفرع الأمن العسكري والشرطة العسكرية وفرع المخابرات الجوية الذي احتل مبني مدرسة النهضة الإسلامية التي درستُ فيها المرحلة الابتدائية.

وما زلتُ أذكر في جمعة "الزحف إلى الساحات" في 2011/12/30 كان وفد الجامعة العربية بحضور رئيس المهمة الفريق أول ركن السوداني "محمد أحمد مصطفى الدابي" قد وصل إلى إدلب وعلمت تنسيقيات الثورة بذلك. وكان أهل بلدات تفتناز وتعوم وبنش إلى الشمال من إدلب قد توجهوا من الصباح في مظاهرات عارمة سيراً على الأقدام باتجاه مدينة إدلب. وصلت المظاهرات السلمية يومها إلى قرب ساحة إبراهيم هنانو أمام فرع المخابرات الجوية ليتم الاعتصام هناك في تلك الساحة الفسيحة ولكنهم وصلوا بعد الظهر -كانت مسيرتهم طويلة على الأقدام- وكان وفد الجامعة العربية قد غادر مدينة إدلب إلى مدينة سراقب بعد زيارة الوفد ساحة التظاهر أمام مسجد سعد بن أبي وقاص والصعود إلى سطح المسجد في حي الثورة.

كنتُ أقف على رصيف متحف مدينة إدلب في ساحة "المحراب" عندما عبرت سيارات وفد الجامعة العربية السوداء -سوداء حال السيارات مش الجامعة العربية- الطريق متوجهة إلى سراقب عصر ذلك اليوم، حينها خلت المدينة من المراقبين مع وصول مسيرة مظاهرات أهالي تفتناز وتعوم وبنش لتنضم إلى مظاهرات مدينة إدلب القامة من الاتجاه الأخر لشارع المحافظة حيث وصلوا إلى أمام "قصر العدل" فقط. قُدّر يومها عدد المتظاهرين، بين مدينة وريف، بحدود 250 ألف متظاهراً، كانت جمعة عظيمة لم تشهد مدينة إدلب مثيلاً لها، ولعلع الرصاص الحي باتجاهنا كنتُ أسير مع المظاهرة القامة من ساحة المحراب أُرافق الضيوف من ريف محافظة إدلب وسمعتهم يلعنون الساعة التي خرجوا منها من قراهم دون سلاح -قال مظاهرات سلمية قال، هذا النظام لا يفهم معنى مظاهرات سلمية، هذا كان فحوى حديثهم، شلتُ منه الشتائم- كان الرصاص يُلعلع من كل اتجاه، من جهة الأمن العسكري ومبنى المحافظة والبلدية والمُخابرات الجوية. تراكضنا نحو "الزواريب" الضيقة في الأحياء الشعبية وما زلتُ إلى اليوم- بعد أكثر من عشر سنوات- أحس بأزيز الرصاص خلف ظهري، نجوتُ من الموت بأعجوبة. بعدها بأشهر قليلة دخل الجيش المدينة، لتحريرها من مئة مسلح، أغلبهم شباب متحمّس في مقتبل العمر لا خبرة له في استعمال السلاح ولا في خوض المعارك، فحصدهم الجيش المدرع حصداً، واستطاع من نجى من الموت الهروب إلى أرياف المدينة ليعودوا بعد ثلاث سنوات في حدود ستة آلاف مقاتل من مختلف الفصائل والمحافظات السورية لتحرير إدلب.

سيداتي سادتي كانت وحدات الجيش والأفرع الأمنية قد صنعت حواجز على مداخل مدينة إدلب الرئيسية والفرعية على الكورنيش وبذلك فصلت المدينة عن الريف القريب منها وتحصنت في نقاط عسكرية لا هي حصينة بما فيه الكفاية ولا هي مجهزة تجهيزاً عسكرياً نظامياً يعني "قوت حتى لا تموت" من هذه الحواجز: حاجز السكن الشبابي على طريق معرة مصرين شمال مدينة إدلب، حاجز معمل الكنسروة على طريق الروج كفر تخاريم سلقين حارم غرب مدينة إدلب، حاجز طريق أريحا في جنوب مدينة إدلب، حاجز الإسكان العسكري شمال مدينة إدلب، حاجز مطحنة الحبوب، والعديد من الحواجز على الطرق الفرعية مع القرى القريبة من المدينة فيلون، عين شيب، مرتين، قميناس، تل دينيت، معمل حلج وغزل الأقطان. أعرف هذه الحواجز -من بعيد طبعاً- قبل

اقتحامها من قبل الثوار وكانت متهالكة أكلها عدم الانضباط وفقر عناصرها وجوعهم، لذلك كان اقتحامها عملية سهلة وانهارت هذه الحواجز في يومين أمام زحف الثوار.

بعد دخول الثوار مدينة إدلب ظهر يوم السبت 2015/3/28 وهروب قوات الحكومة السورية وعناصر الأفرع الأمنية والمحافظ من المدينة على الطريق الذي تُرك مفتوحاً عن قصد بين إدلب أريحا جسر الشغور اللاذقية، أصبح نصف مليون إنسان في المدينة مثل طيور حمام أضاعت اتجاهها، ترتجف خوفاً وتموت رعباً من صوت هدير الطائرات الحربيَّة والقذائف الصاروخيَّة التي تستهدف الأحياء السكنية والدوائر الحكومية التي بقيت سليمة تماماً ولم يُكسر فيها لوح بلور واحد عند دخل الثوار المدينة. ولكن الطيران الحربي "هشَّم" المباني الحكومية والدوائر الخدمية والمشافي بعد ذلك تهشيماً.

أغار الطيران الحربي أول مرة مستهدفاً بعد منتصف ليلة الأحد 2015/3/29 مشفى الهلال الأحمر في قلب مدينة إدلب بصاروخين أحرقا المشفى بمن فيه. في الصباح الباكر ذهبتُ إلى ما كان مستشفى الهلال الأحمر وسط ساحة بازار المدينة، كان المشهد مُرعباً.

في الأسبوع الأول من شهر أبريل/نيسان عام 2015، أحصيتُ أكثر من خمسين غارة جوية بصواريخ مختلفة. كنتُ أذهب في الفجر لموقع الاستهداف الليلي لرؤية هول الدمار. تساءلت حينها بماذا كان يفكر القائد العام للجيش والقوات المسلحة عندما أمر الطيران الحربي بقصف المشافي والمراكز الطبيَّة في مدينة إدلب؟

بعد أيام قليلة ما عُدنا نُطيق خلع أبواب قلوبنا ونوافذ منازلنا وهشيم البلور في حدائقنا وبكاء الشُهداء في مقابرنا والمُصابين في مشافينا التي قصفتها الطائرات الحربية. حملتُ أبي وأمي في سيارة "سوزوكي" واتجهنا إلى مزرعة أخي المهجورة المنهوبة في وادي "حاج خالد" غرب مدينة إدلب.

هرول الناس من المدينة -المؤيد والمعارض- إلى القرى والمزارع والبساتين حول المدينة حاملين ما تيسَّر من حاجيات ضرورية وافترشوا الأمكنة التي وصلوا إليها، أرض جدك أرض جدي لا فرق. وكان الربيع في أول تنفسه ما يزال، وبراري إدلب خالية لا ماء فيها ولا حياة ولا ما يؤكل.

وبدأت المجزرة، كانت الطائرات الحربية تصبُّ حمم صواريخها على المدينة، ثم تبعتها الحوّامات ببراميلها وصهاريجها وحاوياتها المتفجرة. ثم تبع هذا الكلّ-بعد ذلك حين تدخلت روسيا رسمياً- الطيران الحربي الروسي وصواريخه الارتجاجية. وحين تجتمع كل أنواع الطائرات الحربية بكل أنواع الطائرات الحربية في سماء مدينة إدلب تكون المجزرة مضاعفة وأشلاء البشر على مدّ النظر.

في حي البيطرة الذي أسكنه في مدينة إدلب حاول الطيران الحربي الروسي والسوري استهداف مبنى مديرية البيطرة أكثر من مرة خلال أشهر عديدة وفشل في إصابته، ولكن الصواريخ كانت تُصيب بيوتنا التي نسكنها. ماذا نفعل؟ بعد أكثر من عشرين غارة ودمار نصف الحارة أصاب الطيران الحربي أخيراً مبنى مديرية البيطرة الذي كان خالياً تصفر الريح في جدرانه.

في ملجأ تحت قرص درج البناية التي نسكنها ومعي أبي وأمي فقط، وهي بعيدة عن مبنى مُديرية البيطرة في حدود خمسين متراً، وكانت زوجتي والأولاد قد نزحوا مع أهل زوجتي إلى قرية "عين شيب" إلى الغرب من مدينة إدلب، كنا في ذلك الملجأ يومها- حيث نعود من البراري إلى منازلنا في المدينة بين حين وآخر- نسمع هدير الحوّامات على علو شاهق تأتينا على مهل من فوقنا. ونقول في سرّنا: يا الله إلى أين نروح؟ نتسمَّر في أماكننا حين نسمع هدير مراوحها في السماء، ها هو الرعب القادم من السماء، ها قد وصلت فوق المدينة، وها هي على علو شاهق، ها هي الآن تُلقي حمولتها، فنسمع هدير تلك الكتل يشقُّ الهواء الساكن شقاً، تشطره الكتل الساقطة شطراً، نسمع صفيرها، كصوت عاصفة من ريح صرصر، على من ستسقط هذه الكتلة المتفجرة الهوجاء العمياء؟ وكم ثانية من الوقت حتى تصل الأرض؟ من يعرف ذلك في ليل المدينة البهيم.

كُنا نراقبها في المساء حين أسقطت الحوّامات كتل حواجز الشارع الإسمنتية التي يزن الواحد منها أكثر من طنَّين، لم نرها حين سقوطها في هذا الليل البهيم، بل كُنا نسمع صوتها، ومن سمع ليس كمن رأى. كتلة اسمنتيَّة ساقطة من حوّامة حربيّة تُحلِّق في سماء المدينة على علو شاهق، أكثر من خمسة كيلو مترات، وأنت تحتها، يُلقيها صاحب ذلك الخيال الباذخ، فتهمد الأبنية هماداً بمن فيها. ونقول من شفاهٍ ابيضَّت من الرعب: كيف تحتمل قلوب البشر هذا التسونامي من الخيال المُرعب؟ ومن اخترع هذه الفكرة الجهنميَّة؟ هل كان يشرب وسكي اسكتلنديَّة مغشوشة، أم هذه خيالات حشيش؟ هل نحن في محششة، في غرزة عسكريّة؟ هل يُعقل أن جنرالاً في الجيش يقول لعناصره: استعملوا هذه الكتل الاسمنتية ضد "الإرهاب" بعد أن نفذت ذخيرته من البراميل المتفجرة. كيف تفتق خياله عن هذه الفكرة الخياليَّة؟ كتل اسمنتيَّة -منصفات الشوارع- يُسقطها على البشر، ليقتل "الإرهاب" فكرة عصريّة لم تحصل في التاريخ الحديث. وتعال قل بأن هذه الحوادث حقيقية، من يُصدق ذلك؟

لي ملحوظة هُنا:

لا بد من شرح ما نعنيه بالبراميل المتفجرة -لمن لا يعرف- وهي تحتاج فعلاً إلى شرح لأنها غير "الألغام البحرية" التي تُسقطها الطائرات المروحية فوق رؤوس الخلق وقد انفجر أحد الألغام البحرية الساقطة من حوّامة حربية في السماء في الجو قبل وصوله للأرض في حي "الضبيط" عند جامع الفرقان في مدينة إدلب، واستُشهد بشظية منه صديقي المسيحي "حنا حكيم" الذي كان يجلس بعد عصر ذلك اليوم الثلاثاء 8/11/2015أمام دكان بقَّال الحارة. كان أتعس يوم مرَّ في حياته الذي فقدها، فقد جاء ذلك اليوم ضيفاً إلى مدينة إدلب ليتفقد بيته -بعد هجرة قسرية- ولكن القدر لم يمهله-ولكنه أمهلني لتحيته وسؤاله عن أحواله قبل دقائق من مقتله- فقد قُتل العشرات ظهر ذلك اليوم، واختلط دمهم وأشلاء أجسادهم مع أشلاء البطيخ الأحمر الذي فجرته صواريخ الطائرات الحربية التي قصفت سوق خضار مدينة إدلب. ثمَّ جاءت في عصر ذلك اليوم حوّامة أسقطت لغمين بحريين أحدها في حي البستان والأخر في حي الضبيط.

تعال أحكي لك فقط عن أربعة أنواع من هذه البراميل ومواقع سقوطها في مدينة إدلب:

النوع الأول: الصهريج المتفجر -وهو من أخطرها- خزَّان الماء؟ نعم، لا تستغرب الأمر، هو ذاك الذي يجره التركتور الزراعي ويتسع بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف ليتراً من الماء أو البترول. يُعدَّل ويُحشى بما تيسر من متفجرات وتحمله الحوّامة ربطاً بالحبال وتتجه صوب هدفها. يقول المثل عندنا في إدلب "يا حجرة ربي وين ما طبيتي طبي" ويمكن أن يصبح" يا أيتها البراميل والصهاريج المتفجرة وين ما طبيتي طبي" هذه الصهاريج تحمل قوة تدميرية هائلة. سقط أحدها فوق بناية "أم الياس" من أربعة طوابق فأزالها من شروشها مع جيرانها وأهلك نصف الزقاق في حي الثورة عند مكتب وردان بدلة العقاري. أما الصهريج الذي وقع في حارة بستان "آل الرَّنة" إلى الشمال من "بن الأحلام" فكان حُلُماً بقوة "سبعة" على مقياس ريختر للزلازل, وفي القرآن: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8). نعم، ورأينا الشر ماثلاً أمام أعيننا.

النوع الثاني: برميل مصفَّح أكبر من برميل النفط بقليل تُركَّب له أربع عجلات معدنية ثمَّ "يُدكُّ" بأنواع المتفجرات وبفتيل إشعال ظاهر ويُحمل في بطن الحوّامة وقد تحمل أكثر من واحد وتتجه صوب مسرح العمليات لتلد هُناك. سقط أحدها على الرصيف الشرقي بين القصر العدلي والمحافظة ولم ينفجر ولكنه تمزق وبانت أحشاؤه. وقد كان موجوداً في المكان حين غادرتُ المدينة مع أسرتي في رحلة الرحيل إلى شاطئ بحر إيجة أواخر شهر تشرين الثاني عام 2016.

النوع الثالث: حاويات الزبالة، يعرفها الجميع. تُصفَّح الحاوية المعدنيَّة من جديد بالحديد وتُحشى بالمتفجرات حتى تغشى، ثمَّ تُحمل ربطاً بالحبال إلى مكان التنفيذ وترمى هُناك على الخلق. سقطت إحداها على كتف حارة بيت "آل عبيد" خلف المصرف المركزي في الحارة القبليَّة فأهلكتها. وكنا نشاهد من سطوح بنايات مدينة إدلب سقوط الحاويات المعلقة بالحبال في الحوّامات الحربيّة على أختنا مدينة أريحا التي تبعد عنا عشرة كيلومترات.

النوع الرابع: أنابيب جر الماء من معدن "الفونط" بطول متر أو مترين قياس عشرة إنشات أو تزيد حسب المتوفر. تُسدُّ من طرفها وتُدك بما تيسر من بارود وقطع حديد ويُختم طرفها الثاني بالحديد وتترك فتحة ليخرج منها فتيل الاشعال. يُشعل هذا الفتيل بجمر السيجارة ثم يُرمى من الحوّامات على الخلق. وهو أخطر حتى من القنابل العنقودية التي ترميها الطائرات الحربية الروسية على براري وطرقات مدينة إدلب.❑❑

Development and Peace Développement et Paix

وضاعات

(1)

❑ قال: هلا شرحتَ لنا شيئاً ولو يسيراً عن جغرافية الوضاعة، حتى نتقي شرها، ونحترس من الوقوعِ في فخاخها، ونبتعد قدر المستطاع عن المنغرسين بكامل الشغف في فجواتها؟

ماجدع. محمد
سورية

قلنا: قد نفشلُ في التعريف بها كما هي، ولكن بتصورنا أن المرءَ إن أخفق في الوصول إلى مقالع الخساسة الفكرية أو السلوكية لدى عددٍ من البشر ليعاين عوالمهم عن قرب، فلينظر زمناً في محيطه الفوضوي بعين المتحري عن فلذات الخساسة، حينها قد يستنتج بأن أوضع الأنفار مضموناً هم المقتنعون بأفكار وممارسات جهاتٍ أو تظيماتٍ لا تستمد شرعية وجودها، ولا تضمن بقاءها، إلاّ من خلال الاستمرار في إراقة دماء الأبرياء ودمار بيوتهم.

(2)

السياسي التاجر الذي لا يتعامل مع المجريات إلاّ بعقلية المستثمِر الخبيث، لا يستسيغ قدرة الناس على الفصل بين الزعامات والأحداث والقضايا.

(3)

السياسي المقامِر بالناس وقضاياهم، يستثمر الأحياء حتى آخر رمق وإن غادروا الدنيا استثمر موتهم أو مقتلهم لصالح أيديولوجيته.

(4)

ثمة فرق بين زراعة الأمل الذي يدفع الناس للعمل وتحسين واقعهم التعيس، وهي واحدة من صفات ممتلك المسؤولية مِن العاملين لأجل غد مجتمعه؛ وبين زراعة الوهم المؤقت والكاذب بين الرعية، وهي من زناخات المسؤول المتخلي عنهم يوم القارعة.

(5)

الهُلامية جزءٌ مهم من آليات عمل بعض الساسة المرتشفين من ضروع المآرب التي لا تتخطى حدود منازلهم؛ وإلا فكيف سيستمرون في ركوب متن الرعية إن لم يكن الاستغباء جزء من استراتيجيتهم.

(6)

بات مصدر القيء حديثَ السياسي المنفصل عن الواقع في بلادنا، وهو بتبجحٍ مبالغ فيه يتحدث عن استكلاب أعدائه؛ هذا في الوقت الذي غدا فيه معظم أتباعه من حملة شهادة الدكتوراه في الكلبنة.

(7)

على كل آدمي غير قادر على استكمال أي مشروع سياسي أو ثقافي أو اقتصادي، ألا يورط الآخرين في مشاريع وهمية من أجل غاياته الوقتية؛ وإن أصرّ على سوق العامة صوب هاوية تصوراته؛ فهو قيمياً في وادي الوضاعة مقيم.

(8)

وضاعة العسكري السوري الذي تم حشر رأسه بتبن الأيديولوجيا وصلت إلى مرحلةٍ يرى فيها المدني سواء كان من الأطفال أم النساء أم الشيوخ في مناطق الخصم بمثابة الأعداء؛ إذ بتصوره أنهم أهداف شرعية للقوات العسكرية التي تمثله، ولا بأس عنده إن تم قتلُ العشرات من المدنيين العزل نكاية بالخصم الذي يعيش المدنيون في مناطق نفوذه.

(9)

عندما تتطابق أفعال الرعاع مع أقوال النخبة في الرداءة، اعلم بأن ذلك الشعب في الدرك السفلي من سلم الحضارة، ويظهر أن قسمٌ لا بأس به من أبناء مجتمعنا قد بلغوا هذا الانحدار القيمي الوضيع.

(10)

في العصر الراهن ليس العميل الوضيع لمخابرات الدول هو مَن يجلب المحتل؛ إنما السياسي الجاهل والغبي والطائش والمستبد الوضيع هو أوّل من يأتي بالمحتل.

(11)

يعبّر بعض المنتمين لمجتمع الخلق والإبداع، وكذلك الأمر ربما الكثير من العوام عن أردأ ما يكنونه تجاه أقرانهم مِمَن يقتسمون فضاء الشهرة أو حيازة الأشياء المادية أو المعنوية معهم؛ وذلك عندما لا يقرون بأهمية الشخص الذي كانوا حتى قبيل لحظاتٍ يتأففون من وجوده، إلاّ بُعيد التأكُّد من أنه غادر هذا العالم.

(12)

معروف أن زناخة الناس ومن بينهم بعض أهل الثقافة لا تظهر إلاّ أثناء الصراعات الكبرى، وتحديداً في الحروب، لذا احتفظوا بذاكرتكم الشخصية والورقية والإلكترونية جيداً واحفظوا مواقف العامة وأنفار الثقافة من حولكم ابان التهارش المجتمعي؛ بما أن ذئاب النفوس البشرية تبقى مختبئة أوان السلم، ولا تظهر إلاّ في خضم الصراعات التناحرية.

(13)

الكاتب الذي لا رسالة لديه فيما يكتب، وكل غرضه إرضاء نرجسيته أو جمهوره الذي يعزّز تلك النرجسية وبناءً عليه ينساق وراء ما يحاكي مزاج ذلك الجمهور المنبهر بالاكسسوارات، هو في وجههٍ ما شبيه براقصة التعري التي تحافظ على رشاقة جسمها، وعلى نضارة تضاريسها، لتضمن إستحسان نظرة الزائر لتلك الأماكن وما يحب رؤيته فيها، فهي بالنهاية مجرد دمية طوع بنان راغبها إلى حين، ومجرد أداة لإرضاء الزبون، وتعمل بكل طاقتها على كسبه، وتلجأ لكل الطرق المؤدية إلى ترطيب مزاجه، حتى تضمن تكرار قدومه للمكان الذي تعرض نفسها فيه كل ليلة؛ والكاتب الذي لا هم له إلاّ إرضاء غرائز الشارع وليس لديه شيء جديد أو مشروع منير أو فكرة مستقلة أو رؤية مميزة أوخاصة به أو نظرة مغايرة لنظرة العوام سيتحول إلى مجرد صدى لأهواء ذلك الشارع.

(14)

شخص لا يمل إطلاقاً من الحديث عن الأدب مع احتفاظه بكامل الحق في ممارسة كل ما يمتلكه من رصيد قلة الأدب.

(15)

مع أن ثمة أدوات بلاستكية أو حديدية أو خشبية صُنعت من أجل الغوص في أكثر الأماكن قذارة أو خطورة على صحة الكائن البشري، وهي مستخدمة في كل العالم، كالقفازات وأدوات الحفر أو الغوص في أنابيب الصرف الصحي، وهذه الأدوات ضرورية للإنسان لأنها تخلصه من هاجس الإنشغال بالاستعصاءات اليومية، وتقيه بالتالي من الأمراض وتلوث المحيط، بينما الأدوات البشرية في الحروب فهي خالصة الوضاعة، لأنها بعكس الأدوات الأخرى بكونها تعمل على فساد المجتمع ونخره ونشر العفونة فيه، ومهمتها المشاركة في تعميم القذارة وصنعها، وليس الوقاية منها كما هو حال القفازات البلاستيكية. ❑❑

في رفض الرضوخ للتفوق العرقي للغرب الامبريالي

❑❑ الشعوب العربية لم تنفض من نفوسها مهابة الغرب رغم الخلاص من سيطرته الاستعمارية المباشرة بتضحيات جمة. تكشفت المهابة، تحت أضواء الأزمة الأكرانية، عنصرية تزدري الشعوب الملونة جمعاء ، ومن بينها الشعوب العربية، وهي تمد بالقوة نظام الأبارتهايد الإسرائيلي.على الصعيد النفسي والحضاري

أبقت شعوبنا وأنظمتها الأبوية هالة التفوق العرقي لدول الغرب الامبريالية، فحافظت بذلك على تبعية مهينة ومعطِّلة للتقدم وبناء الحياة المستقلة." منذ البدء ونحن نعاني من شعور بالنقص تجاه الغرب؛ نستمد منه بدون تفحص او تقييم انماطا ونماذج من السلوك والفكر ونقبلها بلا سؤال لمجرد انها اوروبية أو أميركية المصدر"،هذا ما نبه منه المفكر والأكاديمي هشام شرابي قبل نصف قرن في مؤلفه "مقدمات لدراسة المجتمع العربي"، وذهبت تحذيراته أدراج الرياح. وفي نفس الوقت التقط نفس الظاهرة من منطلق علم النفس الاجتماعي مصطفى حجازي في مؤلفه "التخلف الاجتماعي ... سيكولوجية الإنسان المقهور"، ظاهرة "رضوخ لوّنت بخصائصها وصبغت بسماتها البارزة الأفكار الشائعة من التخلف بكل ما فيه من سلبية وجمود وخرافة وانحطاط. وهي التي شجعت الأحكام التبخيسية التي كونها المستعمر والمتسلط المحلي عن الشعوب المقهورة، جاعلا من خصائص مرحلة واحدة طبيعة ثابتة لتلك الشعوب(حجازي:39).

القهر السياسي الذي مارسته الامبريالية، ورثته الأنظمة الأبوية، حيث ابقت على الاستـبداد السياسي، يشيع القهـر ويحـافظ على تخـلف الحيـاة الاجتمـــاعية، وتبعيها للامبريالية.

فضحت صحافة التقصي في الولايات المتحدة واوروبا عنصرية الغرب وساعدت على تعرية جذورها. "ان الحركات الفاشية والشمولية والعنصرية جميعا تستر نظم معتقداتها بغلالة من الأخلاق؛ فهي تعلن التقوى، والسعي لاستعادة القانون والنظام، الصحيح والخطأ، طهارة الحياة، الفضائل المدنية والأسرية، الوطنية والتقليد، وذلك بهدف التستر على تفكيك المجتمع وإسكات واضطهاد كل من يعارضهم.

تلك هي اللعبة التي يلعبها الفاشيون المسيحيون، الذين راحوا يشكلون منذ سبعينات القرن الماضي جمعيات ومؤسسات تمول بعشرات ملايين الدولارات، من تبرعات الشركات الكبرى، كي يستولوا على السلطة". تلك هي الحقيقة التي توصل اليها التقصي النقدي للصحفي الأميركي كريس هيدجز لجماعات المسيحية االصهيونية، دعاة العنصرية ضد الملونين والمسلمين بالولايات المتحدة الأميركية، والقاعدة السياسية لترمب راعي صفقة القرن..

ومن زاوية أخرى تناول الكاتب الصحفي الأميركي روبرت فانتينا، سياسات أميركا الخارجية عارضا نماذج من التمويه الذي من خلاله تفرض الحكومات الموافقة على الأنشطة العدوانية وقهر الشعوب. وآخر مؤلفاته ما يدل على رؤيته النقدية "البروباغاندا والأكاذيب، كيف تبرر الولايات المتحدة حروبها؟" وفي مقالته "روسيا وإسرائيل والميديا"، المنشورة يوم 19 إبريل يعقد مقارنات تكشف التمييز العرقي بين شعب فلسطين، المكشوف للعدوان الإسرائيلي المتواتر، وبين شعب أكرانيا بمسوغ مسيحيته واوروبيته ، هدف الغزو الروسي. التناقض في رؤى ميديا الغرب تجاه القضيتين يفسره فانتينا بالتمييز العنصري.

نقل فانتينا عن دانييل حنن في صحيفة تيليغراف:"يبدون مثلنا؛ وهذا ما يصدمنا. أوكرانيا بلد أوروبي، وشعبها يشاهد برامج نيتفليكس ولديهم حسابات على الإنستغرام، يصوتون في انتخابات حرة ويطالعون صحفا لا تخضع للمراقبة. لم تعد نازلة تنزل بشعب فقير يعيش بعيدا عنا".

يتجاهل صحفي التلغراف إقدام زيلينسكي على حظر أحزاب المعارضة واعتقال أو مطاردة معارضيه من نواب ورؤساء بلديات وصحافيين واغتيال الكثير منهم ، ويصر مع ميديا الغرب على أن أكرنيا بلد ديمقراطي !!

يواصل فانتينا: المفارقة واضحة: قنابل تسقط على اوروبيين، بيض، مسيحيين؛ ضربات تنزل من الجو على مسلمين بالشرق الأوسط. قصف بالقنابل مصنع أزوفستال، حيث أوردت المقالة أن آلاف الأكرانيين المدنيين لاذوا به للحماية. اما عن شعب فلسطين في غزة فقد بثت هيئة الإذاعة البريطانية(بي بي سي)، بصدد العدوان الإسرائيلي على غزة قصفت صباح يوم 29 تموز 2014 مدرسة تابعة لوكالة الأنروا في مخيم جباليا وعليها علامة دالة، تؤوي أسرا تضم ثلاثة آلاف فرد أطفالا ونساءا ومسنين؛ هل صدر استنكار عالمي حينذاك؟ وفي آذار 2019 استنكرت الأمم المتحدة الهجوم على مخيم للاجئين في غزة ، حيث قتل سبة أفراد من بينهم طفلة في الرابعة من عمرها.

مرة أخرى، لماذا تجاهل العالم الجريمة؟

في العام 2021 قتل بقنبلة قذفتها طائرة عشرة أفراد امرأتان وثمانية اطفال من اسرة واحدة- عفوا، ضربة جوية إسرائيلية على مخيم لاجئين في غزة . يجب الافتراض، نظرا لأنهم لا يشاهدون نيتفليكس ولا يهاجرون في ‘سيارات خصوصية تشبه سياراتنا’ لا يتطلب الأ مر ان يعنى احد بأمرهم؛ ومن غير المحتمل أن أيا منهم له عيون زرق وشعر أشقر !

.الى أن يقول: "طالبت حكومة الولايات المتحدة بإجراء تحقيق من قبل المحكمة الجنائية الدولية في احتمال وقوع جرائم حرب روسية في أكرنيا (مثير للسخرية نظرا لكون الولايات المتحدة قد رفضت التوقيع على ميثاق روما لإنشاء المحكمة، ولا تريد المحكمة ان تحقق في جرائم حروبها العديدة). ومع هذا نددت حكومة الولايات المتحدة بالمحكمة لانها حققت في جرائم محتملة اقترفتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني. فقط التحقيق يشمل ما يحدث في أكرانيا. ليس سرا ان العنصرية حية وتنتعش بالولايات المتحدة، ولا يثير الدهشة أيضا انها تبرز رأسها البشع على صعيد دولي، مثلما اتضح بجلاء.

سعيد مضية
فلسطين

"أمر آخر يثير الاستغراب يزخم بالنفاق الأمريكي؛ فقد علق مرار على هذا النفاق كاتب هذه السطور وآخرون غيره. لنلاحظ عندما يقترف عدو الولايات المتحدة جرائم ضد البيض ومسيحيين أوروبيين بصورة رئيسة فأن الولايات المتحدة تقدم المساعدة للضحية، اسلحة واموالا، وتدعم تحقيق المحكمة الجنائية الدولية. لكن حين تقترف حليفة الولايات المتحدة (إسرائيل) جرائم حرب ضد مسلمين بصورة رئيسة، وفي بلد شرق أوسطي، حسنا فالقضية مختلفة تماما؛ حينئذ يتساءل المسئولون في الغرب الامبريالي: ألا تمتلك إسرائيل المقدسة حق الدفاع عن نفسها؟"

ويدلق جونسون عواطفه أسلحة ومعدات لأكرانيا، ليس تعاطفا مع شعب أكرانيا، بل امتثالا لأوامر سيده في البيت الأبيض "إنهاك روسيا". يتناسى جونسون، وهو يدلق نفاقه، شراسة تاتشر، تحجرت عواطفها حيال مسلسل من الشباب الإيرلندي أضربوا تباعا حتى الموت مطالبين بالحرية لوطنهم.

لم يرتفع صوت يندد بفظاعات حكومة بريطانيا! أم نذكّر جونسون بما سردته الكاتبة الإيرلندية باولين مورفي في 8 أيار 2018، عطفا إنسانياعلى حوادث تراجيدية "لقتل الأطفال الفلسطينيين على أيدي لابسي البزات العسكرية". فقد سقط برصاص جنود الاحتلال الإسرائيلي في 20 إبريل 2018، الطفل محمد أيوب من غزة؛ فأعاد اغتياله ومصائر الأطفال الفلسطينيين، الى ذاكرتها حوادث اغتيال أطفال إيرلنديين في عشرينات القرن الماضي على أيدي الجنود البريطانيين.

في 21 يناير 1921 نفذ جيش تحرير إيرلندة عملية ناجحة ضد وحدة عسكرية بريطانية في موقع يدعى توريتنغاريف غلين؛ بعد ذلك قامت وحدة عسكرية تدعى ذا بلاك أند تانز بعمليات مطاردة للأطفال في تلك الناحية، إلى جانب حرق البيوت ومراكز المؤسسات. كانت البداية في منطقة توكناغري حيث كان مجموعة أطفال يلعبون في موقع خارج القرية وأطلقت عليهم دورية من الفرقة بلاك اند تانز النار من رشاشات أردتهم جميعا. ثم تلاحقت اغتيالات الأطفال. مداهمات واغتيالات وفرض حظر التجول، كما حدث بمدينة كورك يوم 23 يناير وطلب من السكان التجمع؛ وصلت شاحنة تحمل أفراد الفرقة واخذوا يطلقون النار لتفريق الجمهور. سقط بنيران الجيش أفراد منهم الطفل ابن العاشرة ريتشارد موراي مزقت قلبه رصاصة.

تواصل الكاتبة الإيرلندية، باولين مورفي، سرد حكايات همجية جيش الاحتلال البريطانيضد مسيحيين اوروبيين ذوي عيون زرق وشعر أشقر ووجوه بيض!!... وعمليات أخرى على أيدي فرقة الموت تلك لتستنتج ان الأطفال الفلسطينيين على غرار الأطفال الإيرلنديين خلال العامين 1920 -1921 يلاقون الموت العشوائي، إذ يعتبرون أهدافا معادية. انه تقليد قوات الاحتلال على مر العصور.

يكشف ذوو الضمائر زيوف الحضارة الرأسمالية، بينما يمعن ضحاياها في اوساطنا الإذعان لتبخيس الغرب، مبخسين الذات القومية. الغرب الحديث يقوم على العنف والاستغلال والكذب والتمويه وقهر الشعوب؛ والقاهر ينزع عن المقهور إنسانيته؛ "وبمقدار ما يبخس الإنسان المقهور ويفرض عليه الانحطاط والشقاء ، يصبح مستضعفا اتكاليا مستكينا. وهذا بدوره يؤكد في ذهن المتسلط اسطورة تفوقه وخرافة وغباء الإنسان المستضعف وعدم آدميته(حجازي:38). الإنسان في حضارة الغرب لا يكون القيمة الأساسية كما تدعي مثل الغرب ونظرياته؛ تقتضي المحافظة على النظام تضليل المجتمع المحكوم بما يغيب حقيقة النظام وإفرازات تركيزه على الأرباح القصوى. "التقدم الفائق الذي حققته بلدان الغرب في حقول الثقافة رافقه كبت فردي وقهر اجتماعي. اصبح، كما قال ماركس، مغتربا عن نفسه وعن عمله وعن الآخرين؛ ومحروما من إنسانيته كما قال نيتشه؛ ومريضا بعصاب مزمن يحرمه السعادة الحقيقية في الحياة كما قال فرويد. اتفق المفكرون العظام الثلاثة على ان هذا المجتمع الغربي لا يقوم فقط على الاستغلال والقهر والعنف بل ايضا على مقدرة هائلة للكذب والتمويه على النفس وحجب الحقيقة عن الذات".

هذا ما أجمل به شرابي استقصاءاته لجوهر الحضارة الرأسمالية. وهذا لا يحجب عن الرؤى النقدية ما تزخم به حضارة الرأسمالية من علوم وتقان وثقافة تخفيها الدعاية الامبريالية. فلامانع من ان نستمد من الغرب نماذج وأفكارا ومواد لإنعاش حياتنا الاقتصادية وإعادة تنظيم مجتمعنا وإحياء ثقافتنا العربية، شرط ان يكون ذلك مقرونا أولا بالتغلب على شعورنا بالنقص تجاه الغرب والغربيين؛ "تتجلى عقدة النقص في موقف الإنسان المقهور من العلوم والتقاني. فهو يضع نفسه مسبقا في موضع العاجز عن استيعاب التقنيات الحديثة . يظل أمامها مبهورا لأن الآلة بالنسبة له ليست اواليات تحكم بنيتها في كل مجموعة من القوانين الفيزيائية والرياضية، بل هي كيان سحري يمت الى عالم يتجاوز عالمه"(حجازي:44)؛ ويقترن لالنقل عن الغرب ثانيا بضرورة خلع سيطرة الغرب الحضارية كما خلعنا سيطرته السياسية. ومن دون ذلك لا يمكننا ان نتفاعل معه التفاعل السليم ولا يمكننا التحررمنه، لأنه نفسي بينما الاستعمار السياسي والاقتصادي محسوس تسهل مقاومته.

مجتمع الغرب عنصري، الثراء فيه مشروط بإفقار المجتمعات النامية؛ تنطوي سياساته على قدر كبير من الكذب والتلفيق والتمويه. "المقدرة على التمويه والكذب يعبر عنها بالنزعة المثالية في التربية والتعليم وفي الثقافة الدينية. الطفل ينشأ على قيم المثالية – المحبة ، التعاون، الصدق والكرم الخ- التي يتعلمها لفظيا في البيت والمدرسة ، لكنه سرعان ما يكتشف تلقائيا ان هذه القيم مجرد 'مثل' لا ارتباط مباشراً لها بالحياة الواقعية والسلوك العام. وبالمثل يخترق الزيف قيم الحرية والديمقراطية والرفاه وكل ما يتباهى به الغرب الامبريالي من قيم.

علاوة على تبخيس الذات نجد النخب العربية تقلد المستبد فتتماهى مع أفعاله واحكامه وقيمه، حيث الموسرون يتباهون بالاستهلاك غير المرشد، وتتمظهر النخب بالوجاهة؛ كما نجد عناصر المقاومة الوطنية في فلسطين تضطهد الناس ويكرههم كل فصيل على تأييد مواقفه، خاصة أثناء الإضرابات. يقعدها الكسل الذهني عن خوض نضال ثقافي ينهض بمهام التربية السياسية والتعبئة النفسية والفكرية.

ضمن دائرة التخلف التي لم تجد المجتمعات العربية منها فكاكا تسربت الى النفوس على نطاق واسع رؤى المتسلط، في انماط من تبخيس العنصر العربي عامة وتبخيس الجماهير الكادحة بوجه خاص، وهنا تكمن خطورة إغفال الطاقات الثورية الكامنة.في جماهير الشعب؛ فقد ترسخت بالنفسية الاجتماعية مشاعر إحباط بفعل هزائم النضال المسيّر بعفوية الانفعالية والارتجال في غياب الفكر والتنظيم ومع سطوة الأنظمة القمعية الأبوية العاجزة. تتشكل، بفعل ضغوط الاستبداد الأبوي، ما أسماها حجازي "عملية اجتياف"، أي ابتلاع في الجوف، للتبخيس الذاتي. أبرز انماط التبخيس الذاتي هو "الإعجاب بالمتسلط والاستسلام له في ظروف التبعية الكلية. بمقدار ما ينهار اعتبار المجتمع لذاته، يتضخم تقديره للمتسلط يرى فيه نوعا من الإنسان الفائق(حجازي:41). والرضوخ الذاتي يخفي تمردا خفيا يتجلى بنماذج عديدة منها الرياء والمخادعة والمراوغة والحداقة.. يصبح الكذب والنفاق جزءا من نسيج الوجود المتخلف على مختلف الصعد في جميع الظروف ".(حجازي:42)

كما تعزز تبخيسُ الذات والإعجابُ بالمتسلط في النفسية الاجتماعية بجريرة نمط من الاستعمار الثقافي، استمد قوته المهيمنة من هيمنة الثقافة الامبريالية من خلال النخب الثقافية الملتحقة بالنظم الأبوية المحدثة؛ لامست الأبوية المتناسلة عبر قرون خلت تمدد الامبريالية فاكتسبت مناعة ضد التحرر والتقدم؛ وتدعمت ثقافتها المتخلفة بوسائل الإعلام الغربية وبشيوع القيم الاستهلاكية، الطاردة لتوجهات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

النشاط الاقتصادي الاستهلاكي يفرز ثقافته ويرسخها في الوعي الاجتماعي بقوة رهيبة؛ هذا بينما الاقتصاد الإنتاجي بمنطوياته من "التقنيات المتقدمة تفرض على المتعامل معها التجرد العاطفي وتنمي العقلانية والواقعية والمنطق والترتيب والدقة من اجل حسن تسييرها؛ كما ان المثل الأعلى الإنتاجي يخلق نماذج بشرية مركزة حول الفعالية والإنتاج كقيمة اساس موجهة للذهن والسلوك الفكري، ويصفي ترسبات الفكر الغربي السائد في ثقافتنا الحاضرة، والذي قبلته أجيال المثقفين السابقة دون تردد ووضعته مثلا اعلى لكل علم وفن ومعرفة في العالم". (شرابي:91) اهتم شرابي وحجازي بإبراز التبعية الثقافية، مشيرين الى أن عدوان الامبريالية يوجب إعطاء الأولوية في نضالات التحرر الوطني والاجتماعي لثقافة التحرر والديمقراطية. حقا في مرحلة الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعرفة باتت الثقافة قوة هيمنة تلعب دورا مقررا في حياة المجتمعات كافة، وبما يفوق تأثير السياسة والاقتصاد.

"ان مسألة إدخال تعريب العلوم المضبوطة وتدريسها باللغة الأم هي من مسائل الساعة؛ وهي تمس قضية ديمقراطية التعليم في الصميم؛ فاللغة تشكل الذهن وتحدد النظرة الى الوجود. هناك جدلية بين اللغة والواقع وبين اللغة والفكر، وعلى هذا فإن الصيغ اللغوية تؤثر في الذهن وتنظم التفكير بشكل معين"(شرابي 79). يكون العائد على التفكير أفضل، ويدخل نسيج الثقافة الوطنية إذا ما أدخل العلم في الإنتاج او قارب مشكلة أو قضية اجتماعية.

بدون المقاربة النقدية لمنجزات الغرب العلمية نسقط ضحايا أكاذيب وتلفيقات الدعاية الامبريالية ؛ فالنقد موقف من العالم ومن الحياة ... ونقد الغرب لا يترجم عمليا رفض الغرب وثقافة الغرب وعلمه بلا قيد او شرط. "التصنيع ليس مجرد إدخال الآلة في الإنتاج على نطاق واسع؛ إنما هو مجمل الخصائص التقنية والاجتماعية والذهنية المتولدة من خلال التعامل مع الآلة، ومع العلم المدخل في العملية الإنتاجية"(حجازي:74). والقراءة النقدية والرؤى النقدية وسائل استيعاب التجارب البشرية.

النقد طريقة للحياة، وليس مهنة، إنه وسيلة تتيح لصاحبها أن يسأل ويتوقف ويناقش، وتسمح له بأن يعرض ويحلل، ويفك ويركب، ويقارن ويوازن، ويصل إلى الحكم السليم، مهما كان الموضوع أو القضية. النقد وسيلة لاكتشاف ما وراء تعقيد الموقف أو المشكلة، عين تنظر إلى ما هو جوهرى، وتفصله عما هو فرعى أو هامشى، وهو أسلوب للتعامل مع كل ما فى الحياة اليومية، قبل التعامل مع النصوص والأعمال الفنية. ومن ثم كان الإدراك الذاتي والمعرفة النقدية والوعي الاجتماعي فهما وإدراكا وعملا ، في معالجة أي معضلة. نتوقف عند مصطلح صيغ برسم التضليل، مثل " تحريك الأسعار" بدل رفع الأسعار، و"العالم الحر" و"المال العام" و "ممثلي الشعب"، و"تفوق العرق الأبيض"الخ؛ فنكتشف أن اللغة وسيلة للخداع، مثلما هى وسيلة للعلم والمعرفة، هذا نموذج بسيط للحس النقدى..

مقدرتنا على مجابهة التحدي الحضاري تتوقف في النهاية على أمرين: فهم صحيح لحقيقة الغرب ولما نريده من الغرب وثانيا القدرةعلى تخطي نظرية التحديث ونظرية التقليد في مجابهتنا للغرب والسير في طريق حضاري مستقل.

التحرر الذاتي شرط لتحرير الوطن. تحرير النفس من عقد النقص ومن النقل التجريدي للأفكار والمقولات، وقبل هذا كله التخلص من نزعة الاضطهاد والكبت. فالتحرير الاجتماعي مرتبط بتغيير العلاقات الثلاث، العلاقة مع الطفل والعلاقة مع المراة والعلاقة فيما بين أفراد المجتمع تصوغها جميعا النظرة النقدية المرشدة بقيم الديمقراطية والثقافة العلمية.❑❑

الشيخ أحّا

❑ أخيرا كتبتها:
هذه رسالة عابرة للزمن إلى الشيخ أحا أو المدعو جلال الدين الرومي، لا تندهش من تلك الأحا، فوالله اندهاشي من تقديس ذلك الرجل المزيف أكثر منكم ويستدعي ألف أحا للاعتراض، ولكن و للأسف، أعرف أنها لن تحرك أي شيء، إنما ستجر عليّ الذباب الصوفي (الكيوت)، وهي رسالة ترددت سنوات في كتابتها، لكن يبدو أنه لا مناص منها.

منها لله بنت شافاق:
المدعو جلال الرومي ورفيقه التبريزي الدرويش الجوال، واللذان يتم ربط التصوف بهما الآن ويروج لهما كعلامة من علامات التصوف بين أوساط كثيرة ويجذب شبابا كثر، بل يكاد مريدوهما أن يخلعا عليهما صفة الولاية بمعناها الصوفي، وهو ما يبعدان عنه كل البعد. ربنا يكون ذلك مستهلكا حين (أخلع راسي وأدعي على الست) إيليف شافاق التي فتحت علينا تلك الماسورة (لاحظ أنني لم أقل خرارة بالمعنى المصري)، إذ وعبر روايتها المتواضعة وشديدة السطحية (من وجهة نظري النقدية أدبيا وبناء) فتحت علينا هذه الموجة التي لا نعرف متى يرحمنا الله منها، إذ أفرزت لنا ماسورة تصوف (بروحين) ماسورة لكتابات التصوف الروائي أو الرواية المتصوفة وماسورة أخرى للتصوف التركي حصرت مفهوم التصوف في مجرد رقصة وموسيقى، وهو ما لا علاقة له بأي تصوف في أي دين، فما قرأنا أو سمعنا في سير أولياء الله عن متصوف أو ولي تقرب إلى الله في خلوته بالرقص والموسيقى، وهنا أوضح أنني لست ضد الرقص ولا الموسيقى، لكني ضد التزييف الذي روجت له الثقافة التركية، فيصبح التصوف عند كثير من شباب (اليومين دول) مجرد رقصة وموسيقى، وربط بين ذلك بمقولات غامضة يجتهد المريدون في تفسيرها، وعندي لا يتعدى الأمر مجرد هلوسة وتخريف، حتى لو اجتهد المريدون في تأويل هذا الكلام الملغز بدعوى النورانية، التي أظنها مثل تلك النورانية التي يدعيها آخر في طنطا يسمى إبراهيم عبد ربه، صاحب الفيديو الشهير عن نسبة الماء ودوران الماء في القبر ووصولا إلى رأيه وتفسيره لثورة 25 يناير في مصر.

هدي أعضاءك يا نجم:
ما رأيك قبل أن تثور ثورتك تقرأ حقيقة الرجل، وخذ جانبا واحدا وقل لي كيف يدعو مثل هذا إلى أي شيء غير تسطيح الأمور والهروب من المسئولية، فالرجل فجأة يترك كل شيء من مسئولياته ويهيم غراما مع هذا التبريزي، والحقيقة لا أفهم، كيف لرجل تخلى عن مسئوليته كأب تجاه أسرته، بل ترك تلاميذا له تتعلم على يديه، وينشغل بذاك الجوال؟! وهنا دعني أزيدك من الشعر بيتا، فكيف يؤتمن ذلك الذي يزوج طفلة لم تبلغ الثامنة عشرة برجل في الخمسينيات من عمره، لإغراء ذلك الرجل بالجلوس إلى قربه؟! ما رأيك أن تحلل معي هذه الزيجة؟ فالأمر يثير تساؤلات منها، إذا كان الرومي عارفا بذلك التبريزي، ووجد أن زواجه سوف يلزمه الجلوس، فلماذا لم يزوجه امرأة مناسبة ومكتملة؟! هل مثلا كان يعرف خبايا التبريزي وميله لطفلة أكثر من امرأة؟! وفي المقابل كيف لهذا النوراني الذي يصدعوننا بنشر مقولاته وكأنها نصوص قدسية، كيف قبل بتلك الجريمة وتزوج طفلة؟!

لا أريد إحالتك إلى رواية كيميا للروائي وليد علاء الدين، لكن إن أردت المزيد من الأسئلة الشائكة حول هذين الرجلين اللذين يثار حول علاقتهما منطقيا وعقليا كثير من الشبهات، فابحث عنها واقرأها، وهي رواية لا تروى خيالا فقط إنما تفكك أسطورة زيفهما تلك بمزيد من أحداث واقعية تتبعها الروائي بحسه الصحفي وخبرة عمله.

أعود إلى ذلك الإلصاق المريب للرجلين بالصوفية، وأسأل، هل ما دعا إليه جلال الدين والتبريزي هو الصوفية؟ وهل الكتابات الغامضة (مشيها غامضة وعميقة كمان) هي الصوفية؟ وهل ترك المسئولية والسعي خلف الهوى الشخصي حتى لو كان الثمن موت طفلة ككيميا في ظروف غامضة، هل تلك الصوفية؟!

روق كده وتعالى نحسبها:
في ظني، أن الصوفية هي اختيار المرء واصطفاء الإنسان لنفسه، في لحظة مصطفاة، ومكان مصطفى، بفعل خاص مصطفى من أفعاله، وهو ما يعلل لي ويفسر مفهوم الخلوة عند المسلم الصوفي، فالتصوف هو الاختلاء بالنفس عما يشغلها طلبا السكينة والسكون الداخلي، وهنا كيف يمكن لحركة الرقص والموسيقى أن توفر السكون، إذ هما بالأساس نتاج حركة؟!

بعد الصدمات والإحباطات يميل الناس إلى الخروج من مسئوليتهم في تحمل الألم أو العواقب، الألم وعاقبة الاختيارات التي لم يوفقوا فيها، ولذلك هم يهربون من حمل مسئوليتهم تجاه أنفسهم وتجاه تبعات اختياراتهم، ولأن الهروب أسهل وأهون من المواجهة، نجد نموذج الرومي والتبريزي يقدم المثال النموذجي لذلك الهروب، الهروب من المواجهة، وأولها مواجهة النفس، وهو ما يفسر هذه الموجة (ربنا يخلصها على خير بقى) التي ركبها كثير من شباب محبط لم نلاحظ سياق إحباطه الناتج بعد تداعيات الربيع العربي، والذي توافق مع ظهور كتابات (الحاجة إليف شافاق الله يسامحها)، وواكبه موجة من التجريب الموسيقى والفلس إن شئت الفني والأدبي، فيبدأ الاستدعاءات الأشعار التي كتبها أعلام التصوف كابن الفارض والحلاج وغيرهما، ويقدم لنا من بابين إما موسيقى التصوف والتي تخرج لنا مطربا اسمه زجزاج (باللي عليكم دا اسم مطرب دا حتى الاسم معناه وحش) لو حاكمناه طربيا لما تعدى 5 من عشرة، أو باب التجريب الموسيقى وهو ما لا أرفضه، لكن لا أستصيغ استمراره والترويج له باعتباره موسيقى صوفية، لسبب واحد عندي في فهمي، أن الصوفية لا موسيقى ولا رقص ولا حركة لها بالأساس والأصل، فهى البحث عن السكون لا الحركة.

أسهل حاجة الاتهام، شوف الاتهام ده:
عزيزي الجلالي التبريزي، أرجوك لتكن منصفا واجتهد قليلا وفكر، هذان رجلان أحبا الاختلاء إلى بعضهما دون الناس، وأحبا الحديث بكلام (غامض) لا يفهمه غيرهما، ثم وبإضافة السياق التاريخي لتاريخ الجنس في تلك المنطقة، حاول أن تجد وصفا مناسبا لهما. ماذا؟ مصدوم من الاستنتاج الذي ربما تصل إليه؟ (شوف الاتهامات بسيطة إزاي؟)، لا تنزعج فكل شيء وارد كما يقول المثل الشعبي (حتى جواز العجايز اللي شبه التبريزي من طفلة زي كيميا).

مختار سعد شحاته
مصر

صديقي الباحث عن الصوفية، ابحث عن الصوفية بنفسك عبر تاريخ التصوف لا عبر هؤلاء المعممين الذين (الدم بيبُك من خدودهم وتخمة بطونهم)، والقنوعين بتقبيل الغُر لأياديهم حبا وكرامة وبركة، فلا التصوف موجود عندهم ولا في حضرة رقصة المولوية التركية التي لا تمت بصلة للتصوف الحقيقي. التصوف يا صديقي هو اصطفاؤك لنفسك، أي هو بالأساس تقدير لنفسك ولداخلك إذ تصطفيها دون الناس ❑❑

ثمن الاحتلال

د. سنية الحسيني
فلسطين

❑ معادلة الصراع في فلسطين اليوم باتت واضحة، لا احتلال دون ثمن. ليست معادلة جديدة، فلم يتوقف الفلسطينيون يوماً عن مقاومة محتلهم دون كلل أو ملل، وليست بمعادلة غريبة، فجميع تجارب التحرر حسمت فيها معادلة الصراع بانتصار المقاومة.

وما تعانيه دولة الاحتلال الإسرائيلي اليوم وتصفه بـ «الإرهاب» هرباً من مواجهة واقع صنعته بيدها، ما هو إلا مقاومة الفلسطينيين لاحتلالها الممتد والأطول لأراضيهم، عاشه الجد والأب والابن، دون أن يتغير إيمانهم أو مفاهيمهم أو معاييرهم لتحقيق الحرية.

الجديد اليوم يتمحور حول عجز إسرائيل ومنظومتها الأمنية عن فهم التحولات والتبدلات التي تشكل الواقع الجديد للمقاومة الفلسطينية، إذ بات إعلانها عن استراتيجيات أو أدوات أمنية جديدة لقمع الفلسطينيين يثير تهكمهم لرتابتها وتكرار نفسها.

أول مظاهر التغيير في واقع المقاومة الفلسطينية، أنها باتت طريق الفلسطينيين الوحيد لنيل حريتهم، بعد أن انكشفت نوايا الاحتلال تجاههم وتجاه أرضهم بشكل جلي وصاخب ومدوي. فاتفاق السلام مع الفلسطينيين، اتضح، وبعد ثلاثة عقود، أنه لم يأت أبداً لبناء الدولة الفلسطينية، وإنما لتدجين الفلسطينيين وتثبيت واقع متدرج قائم على نهب أرضهم وتسكين المستوطنين اليهود فيها، وحشر الفلسطينيين في كانتونات تخضع للحصار، وتطويقهم من قبل هؤلاء المستوطنين وجيش الاحتلال، وإخضاعهم للمراقبة والمتابعة والملاحقة المستمرة من قبل المنظومة الأمنية لدولة الاحتلال، وضمان تبعيتهم الاقتصادية.

ولم يخرج انسحاب الاحتلال من غزة عن خطة جهنمية لعزل القطاع عن باقي محيطه الفلسطيني وتدمير بنيته التحتية ومعاقبة أهله، واستخدام انقسامه سياسياً كمبرر لتعطيل أي حل سياسي مع الفلسطينيين أمام العالم. وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948، لم تستطع إسرائيل أن تخفي وجهها المتحيز القبيح ضد كل ما هو فلسطيني، فصادرت أراضي الفلسطينيين وممتلكاتهم، وطمست أي معلم من معالم تاريخهم، وتتعامل مع الفلسطيني معاملة مواطن من درجة دنيا في جميع مظاهر الحياة الأساسية، ومؤخراً وبشكل فج قررت طرد بدو النقب من ديارهم التي عاش فيها آباؤهم وأجدادهم، لتبني مستوطنات أو أحياءً يهودية مكانها، في سياسة مكررة تهدف لإلغاء الوجود الفلسطيني ومظاهره.

خلال الأسبوعين الماضيين فقط، شهدت إسرائيل أربع هجمات متعاقبة لكنها منفصلة عن بعضها البعض، في بئر السبع والخضيرة وبني براك وتل أبيب، يربطها المكان والمستهدفون والمنفذون. قتل في تلك الهجمات أربعة عشر إسرائيلياً، وأثارت الرعب في قلوب الإسرائيليين في عقر «دارهم». حمل المهاجمون الفلسطينيون في العمليتين الأولى والثانية الهوية الإسرائيلية، بينما جاء المهاجمون في العملية الثالثة والرابعة من الضفة الغربية. ويعد ذلك تطوراً جديداً لحق بجهة قدوم المهاجمين، اذ إنهم ليسوا من القدس أو من الضفة الغربية أو من غزة، وإنما من حمَلة الهوية الإسرائيلية. رسخت حرب غزة الأخيرة هذا التوجه في شهر أيار من العام الماضي، أثناء هبة الأقصى، رغم أن ذلك التوجه ليس جديداً، فطالما كان الفلسطينيون في إسرائيل امتداداً لأصلهم الفلسطيني والذي لم ينفصلوا عنه يوماً، وتشهد العديد من الأحداث الماضية على ذلك، لكنه بات الآن واضحاً دون مواربة. انقلبت مخططات إسرائيل ضد الفلسطينيين عليها في العديد من المظاهر. استخدمت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سياسة نشر الجريمة والسلاح والمخدرات في المجتمعات الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام 1948 لإضعاف الفلسطينيين وتشتيت طاقاتهم وتدمير البنية الفلسطينية عموماً فيها، والذي يفسر جرائم القتل المتكررة الملفتة للانتباه في المجتمع الفلسطيني في تلك الاراضي، الا أن فوضى السلاح التي تعم المجتمع الفلسطيني في إسرائيل بات في الإمكان أن تستخدم ضدها، كما حدث في عمليتي بئر السبع والخضيرة.

وانقلبت مخططات إسرائيل ضد الفلسطينيين عليها في مظهر آخر، عندما قامت إسرائيل بتبني سياسات لتشتيت الفلسطينيين وتقطيع أوصالهم، بهدف إضعافهم. قامت إسرائيل بعزل غزة عن محيطها الفلسطيني من خلال سياسة الحصار، وفصل القدس عن الضفة الغربية من خلال بناء جدار الفصل العنصري ووضع معابر عسكرية لتقييد حركة الفلسطينيين وعدم السماح لهم بالمرور عبرها الا من خلال تصاريح تصدرها قوات الاحتلال، وفصلت كذلك الفلسطينيين في أراضي المحتلة عام الـ 48 نفسياً عن امتدادهم الفلسطيني. ساهمت تلك السياسة الإسرائيلية بقضيتين، الأولى اعتماد كل منطقة من تلك المناطق على نفسها في ابتكار أدوات المقاومة الخاصة بها والمتناسبة مع ظروفها، الأمر الذي خلق نوعاً من التنوع في أدوات المقاومة الفلسطينية، وساهمت القضية الثانية في تعدد مصادر المقاومة، فباتت إسرائيل تخشى انفجار المقاومة من الجبهات المتعددة التي خلقتها، من غزة ومن الأراضي المحتلة عام الـ 48 ومن القدس ومن الضفة الغربية ومن لبنان وسورية أيضاً، وباتت السيطرة على جميع الجبهات بالنسبة لإسرائيل أكثر تعقيداً وصعوبة.

ومن مظاهر المقاومة الحالية، والتي تطورت لتتأقلم مع استراتيجيات وممارسات الاحتلال وانقلبت ضده، لم تعد التنظيمات الفلسطينية الموجه والمنظم الأول كما كانت في الماضي، فبات الاحتلال يطلق على هذا النوع من عمليات المقاومة «عمليات فردية»، أي تأتي بمبادرة شخصية، دون وجود انتماء سياسي للمقاوم، الا انتماءه لوطنه. وتوصل الفلسطينيون تلقائياً لهذا النوع من العمل، بعد تصيد الاحتلال لقادة المقاومة من الفصائل بالاغتيال أو الاعتقال، ومتابعتهم بأساليب التجسس المختلفة، وتحجيم أدائهم وعملهم خصوصاً في الضفة الغربية، مع استمرار الاحتلال بكافة مظاهره المستفزة. فبات قرار المقاومة قراراً فردياً في كثير من الحالات، الأمر الذي يبعد الشبهات والشكوك حول المقاومين من هذا النوع، وصعوبة التنبؤ بعمليات المقاومة أو معرفة مصدرها قبل حدوثها. وعبر الجهاز الأمني الإسرائيلي عن ذلك صراحة، عندما أكد انه ليس هناك ما يمنع من تكرار مثل هذه العمليات الأخيرة في إسرائيل، دون القدرة على التنبؤ بها قبل حدوثها، كما يحدث تماماً خلال عمليات الطعن أو الهجمات بالسيارات أو الدراجات النارية ضد قوات الاحتلال أو المستوطنين في الضفة الغربية حالياً.

لم تنته فترة الربع الأول من العام الجاري بعد، سقط خلالها أكثر من 30 شهيداً في الأراضي الفلسطينية المحتلة، في زيادة ملحوظة في عدد الشهداء، والتي لم تصل حد هذا العدد في نفس الفترة خلال السنوات الثلاث الماضية. كما قامت قوات الاحتلال باعتقال أكثر من 1100 فلسطيني في ذات الفترة، في حين اعتقلت تلك القوات حوالي 2200 فلسطيني في العام الماضي كله. وكانت نفتالي بينيت رئيس وزراء دولة الاحتلال قد طالب جميع الإسرائيليين، بعد موجة العمليات الأخيرة، بحمل السلاح، لمواجهة أي هجوم من قبل الفلسطينيين، كما اعتبر أنه ليس هناك خطوط حمراء لإعادة السيطرة على الوضع الأمني. يأتي ذلك في ظل حملة عسكرية وأمنية مكثفة ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية عموماً وضد جنين ومحيطها خصوصاً، والتي جاء منها منفذو العمليتين الأخيرتين في إسرائيل. ويبدو أن حرارة الأوضاع ترتفع باتجاه الغليان في ظل شهر رمضان، وتصريحات اليهود المتطرفين عن نيتهم اقتحام المسجد الأقصى، وخلال عيد الفصح اليهودي، وتحذيرات الأوساط الأمنية الإسرائيلية بإمكانية دخول جبهات مقاومة فلسطينية إضافية في حال تفاقمت الأمور في الضفة الغربية.

إنه الثمن الطبيعي الذي يجب أن يدفعه الاحتلال، اذ ليس أمام إسرائيل للتعامل مع الفلسطينيين الا طريق واحد معروف بالانسحاب من أراضيهم، فالقمع والبطش والقتل والاعتقال كلها أدوات لم تعد تؤتي أكلها، ولا تخيف الفلسطينيين، كما أن الالتفاف والبحث عن حلول تفرض على الفلسطينيين من الخارج من خلال الحصار أو العقوبات الاقتصادية والمالية أو اتفاقيات التطبيع مع دول عربية، أثبتت جميعها أنها حلول عبثية ومضيعة للوقت. ودرس أخير لإسرائيل، إذ ليس من السهل تقسيم شعب ذي تركيبة طبيعية أصيلة، كالشعب الفلسطيني، فتقطيع أوصاله بالقوة لن يولد خلال الأزمات إلا تكامله وتضاعف قدراته. في المقابل ليس بالإمكان تجاهل حالة الانقسام التي تعيشها إسرائيل ببنائها المصطنع، ما بين كونها قوة احتلال من ناحية وما بين انقسام مركّباتها البشرية، ما بين القومية الفلسطينية المسلمة والمسيحية وما بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين من ناحية أخرى، وما بين اليهود المتدينين والعلمانيين منهم من ناحية ثالثة، الأمر الذي يفسر حالة التخبط التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي، والذي يترجم بعدم استقرار الحكومات فيها، وسيطرة حالة من الهلع الأمني والتطرف الفكري. ❑❑

نحن وإسرائيل والعالم والتغير الواجب

❑ يبدو تغيير النظام العالمي الحالي برمته أسهل من تحويل إسرائيل إلى دولة غير استعمارية وغير عنصرية وغير نووية، وبالتالي من سلام حقيقي في الشرق الأوسط والعالم. فإن كان السلام العادل يقوم على المساواة في الحقوق وفي السياسة وفي السيادة، فإنه يقتضي من كل بد نزع نظام الأبارتهايد الإسرائيلي من أجل المواطنة، ونزع التكوين الاستعماري من أجل المساواة السياسة، ونزع السلاح النووي من أجل المساواة السيادية. وهذا كله نقيض الوعي الذاتي المتعصي في الكيان الإسرائيلي مثلما نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، وتطور خلال ما يقترب من ثلاثة أرباع القرن. الغرب المعاصر، الأوربي والأميركي، كفيل لعدم المساواة، وبالتالي لامتناع السلام العادل، وليس خافياً على كل حال أنه كفيل للتفوق الحربي الإسرائيلي الحاسم.

تتلاقى في هذ الكفالة اعتبارات جيوسياسية معاصرة باعتبارات جيوثقافية أقدم، ثم بتكون الضمير الغربي المعاصر حول دَيْن كبير لليهود بفعل جريمة الهولوكوست الاستثنائية. وصل الأمر بالمستشارة الألمانية السابقة أنغيلا ميركل إلى أن تقول في كلمة لها في جامعة تل أبيب في شباط 2011 إن "التزامنا بأمن إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية هو من علل وجود ألمانيا". كان يمكن لتصريح ميركل أن يستقيم لو كانت إسرائيل أقيمت على أراض من ألمانيا، أو ربما منها ومن بولونيا، على ما كان يجب بالفعل أن يتحقق تكفيراً عن الجريمة النازية الرهيبة. أما أن يكون أمن إسرائيل علة وجود لألمانيا، وبالتالي تكون ألمانيا علة عدم لفلسطين وشعبها، فهو من آيات عدم القدرة على التفكير من موقع الآخر، أي منبع للشر بحسب حنه آرنت. ومعلوم أن آرنت طورت تصور الشر هذا عبر دراسة إحدى الشخصيات النازية في الهولوكوست: أدولف آيخمان. بخصوص فلسطين، المسؤول الغربي النمطي آيخماني، عاجز عن أن يضع نفسه موقع الفلسطيني. على أن عدم استقامة الجمع بين يهودية إسرائيل وديمقراطيتها، وتطرف تصريح ميركل المعتدلة عموماً، هو أدعى لأخذ مضمونه بعين الجد. الأقوال التحكمية التي لا تصمد أمام منطق أخلاقي متسق تقول ما يكونه الناس وما يُكنِّه ضميرهم.

عربياً، يمكن أن يقال ما تقدم عن تأصل إسرائيل في بنية النظام العالمي المتمركز غربياً لأحد غرضين. أولهما إثارة مزيد من العداوة للغرب، ما ينفتح إما على عنف عدمي، ليس غير سياسي فقط ولكنه غير حربي كذلك من جهتنا (حربي منحط إن شئنا، أو "إرهابي")؛ أو على تسليم بواقع الحال، يمتزج فيه كره اجتماع وثقافي شديد للغرب بالتعايش مع أوضاع فاسدة ومتخاذلة ولا إنسانية في بلداننا، ومع تمني أن "يضرب الله الظالمين بالظالمين ويُخرِجنا منهم سالمين"، وهو موقف سُمِعتْ تنويعات منه عقب الغزو الروسي لأوكرانيا. والغرض الثاني هو تسويغ مراضاة إسرائيل و"التطبيع" معها، بالنظر إلى أننا لا نستطيع محاربة أميركا على ما قال أنور السادات في أيامه، ومثلما تفعل الإمارات وتقود معسكراً عربياً متسعاً. على أنه يمكن لما تقدم أن يُقال بغرض إخراج الصراع مع إسرائيل ورعاتها من هذه الاستجابات المرضية، ونقله إلى السياسة حين السياسة تعني إدارة أمورنا في العالم من حولنا بحيث نقلل الخسائر والأعداء ونعزز فرص الكسب وجبهة الأصدقاء. وقبل ذلك بغرض أن تتكون لنا نحن سياسية عقلانية، تمييزاً عن نحن هويتية، منفعلة تحت سياسية وتحت واعية، تشمت وتسعى وراء "شفاء الصدور" و"إرواء الغليل" وضرب الظالمين بالظالمين. أعني نحن تستطيع أن تحسب وتكسب، فتتجنب معارك خاسرة، وتتجنب أكثر استخداماً وظيفياً لقضية فلسطين التي هي لب الصراع مع المشروع الإسرائيلي، وإن لم يُستنفد فيها. وبينما لا يقتضي ذلك حتماً تجنب المقاومة المسلحة، فإنه يقتضي تجنب حروب الدول.

وهذا ما تحقق فعلاً ومنذ عقود. دولنا استخلصت الدرس منذ عام 1973 فلم تدخل في حروب مع إسرائيل، نخسر فيها حتماً وتستنفر قوة الغرب المسلحة ضدنا. لكن إذا كانت حروب الدول ضد العدو غير ممكنة، فلا بد من إعادة بناء الدول ذاتها حول شيء يعوض هذا النقص السيادي الفادح. وهذا الشيء لا يمكن إلا أن يكون إصلاح نظمنا السياسية والقانونية والاجتماعية على نحو يؤسس لنحن أكثر عقلانية، تدير أمر وجودها في عالم ليس من صنعنا بأقل الأضرار وأكبر المكاسب، أي بما يضعنا في أوضاع أفضل من أجل الصراع مع العدو. إن لم يحصل ذلك، وهو لم يحصل، عوضت الدول نقصها السيادي، أي نقص دوليتها (بالنظر إلى أن السيادة مقوم جوهري للدولة)، بحروب من نوع آخر: الحرب ضد الإرهاب مثلما جرى بالفعل في سورية، وفي مصر المسالمة لإسرائيل منذ نحو 45 عاماً، وفي عموم المجال العربي. هذا علماً أن "الإرهاب" ذاته، وليس الحرب ضده وحدها، يمكن أن يفهم كتعويض عن النقص السيادي للدول، وذلك عبر إعادة تشكيل الدين أو الرابطة الدينية للنهوض بعبء الحرب الذي تفشل الدول في حمله. وهكذا يجري تعويض النقص السيادي بـ"الإرهاب" وبالحرب ضده في آن معاً. وهذا مصدر فساد هائل للدين والدولة معاً. عالمنا العربي يعيش منذ عقود النزاع العنيف بين دين ذي جينات امبراطورية وفوق سيادية إن صح التعبير، وبين دول تابعة وناقصة السيادة.

لم يجر نقاش حول تحدي النقص السيادي وسبل الاستجابة له. وهذا ربما بسبب الخوف من مزايدات من كل نوع، ولكن أساساً بفعل غياب فضاءات عامة للنقاش، نختلف فيها بصور مثمرة. انتهينا إلى أوضاع يستحيل فيها النقاش فعلياً، يسكت فيها العاقلون كيلا يهانوا، ويتخلى بعضهم عن شيء من عقلهم بالدخول في المواجهة بشروط سيئة، أو ينزلق آخرون إلى مجاملة الانفعالات العامة، فلا يبقى لدينا عاقلون متكلمون. نصير كلنا مرضى.

فإذا كان نزع استعمارية إسرائيل وعنصريتها ونوويتها شروط للعدالة ولسلام مستدام في منطقتنا، فإن من شروطها كذلك معالجة جذرية لأحوالنا، تتمركز حول تعهد السياسة في الداخل والعمل على اكتساب القدرة على الدفاع عن النفس في مواجهة المعتدين، بما يسهم في رأب الصدع الديني الدولتي. بكيانات سياسية على رأسها أمثال بشار الأسد والسيسي وبن سلمان وبن زايد وعبدالله الثاني وميشال عون وقيس سعيد ومحمد السادس وتبون، ليس ثمة فرص لتجاوز الانقسام الديني الدولتي. بالعكس، هذه شروط لا تكف عن توليد مجموعات مثل حماس وحزب الله والجماعات الجهادية، يجمعها أنها تشكيلات دينية سيادية (وليس سياسية فحسب)، أي أنها في آن منابع للانقسام الاجتماعي في مجتمعات متعددة فكريا ودينياً، وللمنازعة السياسية في مجتمعات دولها ناقصة.

د. ياسين الحاج صالح
سورية

قد يكون صحيحاً جزئياً أن إسرائيل المرعية غربياً من منابع التعفن العنيف لأوضاعنا في المجال العربي، لكن الصحيح أن هذه الأوضاع العنيفة المتعفنة واللاأخلاقية، التي نتحمل نحن المسؤولية الأكبر عنها، لا تكاد تستحق ما هو أفضل من إسرائيل المعتدية والعنصرية، وهي بالتأكيد لا تقوي قلب أي إسرائيليين لا صهيونيين ولا عنصريين على الانشقاق عن الكيـــان الإسرائيلي، دع عنك التفكير في العيش في أي بلدان عربية. تغيرنا العميق وحده ما يضعنا في موقع متسق مع الإدانة الأخلاقية لإسرائيل والنظام الدولي القائم على رعايتها.

فإذا أخذنا بعين الجد أن تغير النظام العالمي القائم أسهل من تغير إسرائيل الحالية، فإن الجبهة الإضافية للعرب المتطلعين إلى أوضاع عادلة لأنفسهم وغيرهم، هي العمل مع شركاء وحلفاء في العالم من أجل تغير العالم بالفعل. جبهة إضافية لأن الجبهة الأولى تبقى أن نتكون في نحن عقلانية، إن لم تؤد عدوها فهي تنفع نفسها على الأقل ❑❑

UNIVERSITY OF ALBERTA

عميان في عالم أعور

عدنان الصباح
فلسطين

❑ عادة ما يتندر العرب عن أنفسهم قائلين "إذا أردنا أن تلحق الهزيمة بأحد ما أيدناه" ويبدو انهم يطبقون ذلك على أنفسهم فهم لا يقفون الى جانب قضاياهم خشية أن يخسروها ايمانا بقولهم انفسهم لكنهم ينسون ان لتلك القضية صاحب آخر غيرهم وانهم هم في هذه الحالة أصحاب القضية ولذا لا يجدي تطبيق الرؤيا الغبية هذه على الذات.

العالم اليوم يقف على قدميه مؤيدا لأوكرانيا بما في ذلك العالم العربي الرسمي واعلام العالم بكل أشكاله بما في ذلك الإعلام العربي يتابع ويؤيد أوكرانيا بكل ما اوتي من قوة الا من رحم ربي ولست هنا أدعو الى تأييد الاحتلال أي احتلال لكن من يتابع أوضاع الحرب الروسية الاوكرانية يجد العجب العجاب.

روسيا تتهم النظام الاوكراني بالنازية مع ان رئيسها يهودي ونائبة وزير الخارجية مسلمة وكما تحالفت روسيا مع إسلام الشيشان الذين اعتبروا الحرب على أوكرانيا حربا اسلامية فان مسلمي اوكرانيا اعتبروا الدفاع عن بلادهم مقاومة باسم الاسلام يدعوهم إليها الله وفي نفس الوقت الذي تتكالب قوى الامبريالية على روسيا نجد اقصى اليمين العنصري ممثلا بمرشحة الرئاسة الفرنسية تعلن التأييد التام لروسيا ولا تجد روسيا حلا حقيقيا لها على الإطلاق سوى سوريا العربية ولا سواها بينما تقف الصين موقف المتردد وكذا تفعل الهند.

لا حرب مقدسة اذن على الاطلاق في أي حرب على وجه الارض الا تلك التي تخوضها الشعوب دفاعا عن حقوقها فالكنيسة في روسيا صارت عدوة الكنيسة في اوكرانيا والعكس صحيح ويدور القتال على الارض الاوكرانية فيقتل الفقراء من الشعبين بينما يتواصل الاغنياء مع بعضهم البعض ولا تحارب امريكا على الارض بل تحاربهم بأبنائهم فيموتون من هنا وهناك وهي تصادر مليارات روسيا وتسعى لتحطيم اقتصادها ولا شيء سوى ذلك تريد الإمبريالية الاقذر في التاريخ من التباكي على اوكرانيا وشعبها

العرب الذين انشغلوا مع العالم بتلك الحرب نسوا قضيتهم الاولى وحتى الفلسطينيين لم يبادروا الى لفت انتباه العالم الى ما يفعله دفاعا عن اوكرانيا بينما يمعن الاحتلال الاسرائيلي في ممارسة كل اشكال الاضطهاد على الارض وفي الناس قتلا وتهويدا وتقييدا لكل اشكال الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولم تعلن فلسطين حالة الاستنفار القصوى لمطالبة العالم بعدم الكيل بمكيالين ولم يحاول احد ان يسعى الى مظاهرة تطالب بعدم الكيل بمكيالين واعتبار ذلك جريمة دولية تقودها امريكا وتصمت عنها كل دول العالم بما في ذلك تلك الدول التي يعتقد الشعب الفلسطيني انها حليفة له في قضيته ولم يستغل العرب في جلسات مجلس الامن ولا في الجمعية العمومية ولا في وسائل الاعلام لاستعادة القضية الفلسطينية الى صدارة مذكرين باننا بلد يقع تحت الاحتلال ولا احد يقدم له اسنادا بعشرات المليارات بكل الاشكال.

العالم اعور لا يرى الا مصالحه لكن الابشع اننا عميان لا نرى حتى مصالحنا ولا ندري كيف نسعى في سبيلها بل ولا نملك رسالة عن حالنا يمكننا ان ننقلها للعالم لأننا وباختصار شديد لا نعرف ما الذي يعنيه وجودنا على الارض ولا اية قضية نحملها على اكتافنا لنجوب بها العالم ولا كيف ندير سباق التحالفات والتناقضات في هذا العصر.

ان المطلوب اليوم ليس من الانظمة فقط بل من صناع الراي من قوى ومؤسسات وهيئات واتحادات وجماهير ان ندرك رسالتنا على الارض وان نعمل على حماية قضايانا فكما يصرخ رئيس اوكرانيا ليل نهار بان بلاده تدافع عن العالم الحر ولا نجد لنا صوتا هنا او هناك باننا امة تدافع عن حريات العالم ضد العنصرية والفاشية التي لم يراها احد في بلادنا وعلى صدورنا ولم يلتفت احد من كل قادة العالم بما في ذلك العالم العربي الى جريمة اهمال قضية شعبنا بهذه الفجاجة والى ان العالم اعور تجاهنا فقط ولا يعنيه ابدا ما يعنينا ليس لأنه لا يشعر بنا فتلك ليست مهمته بل لأننا نحن من لم نستطيع ان يجعله يرانا لأننا فنحن وبكل الوضوح لا نملك البصر ولا البصيرة فيما يخصنا ويخص قضايانا ❑❑

أمي وذلك العشيق

❑ تلقاني السمسار باستغراب قائلًا:
- لم أتوقع حضوركِ في الموعد .. تعجبني المرأة المنضبطة !!
قلت له وأنا ما أزال واقفة عند الباب بينما سحابة من القلق تتكثف في صخب داخل رأسي:
- ليس لدي وقت ... عليّ أن أعود إلى عملي بعد ساعة.

نهض بصورة مباغتة قائلًا:
- هيا إذن لنذهب ونرى الشقة ...
ثم نادى على الشاب الذي كان ينظم في أوراق أمامه أن ينتبه للمكتب في غيابه.

وهو يقود سيارته قال:
- لا أخفيكِ سرًا ... كنت قلقًا من عدم حضورك فتضيعين على نفسك شقة رائعة يصعب الحصول على مثلها في مثل هذا الوقت.

لم أرد عليه فاستأنف حديثه وكأنني غير موجودة:
- الناس في ازدياد والأزمة تشتد والمباني كما هي ... لا نعرف كيف ستؤول إليه الأمور في الأعوام القادمة.

قلت وعيناي مصوبة على الطريق لأسجل في ذاكرتي خريطة للشارع في حال عودتي ثانية لوحدي:
- ما يهمني إن لا يكون هناك كلاب أو قطط، فأمي كما أخبرتك لديها فوبيا من الحيوانات ..- لا تشغلي بالك بهذا الأمر ... لقد تأكدت من خلو البناية من الحيوانات والحشرات أيضًا ... للنساء أمورًا يصعب تفسيرها.

هز رأسه وهو يقول جملته الأخيرة ثم ضحك ليصمت بعدها مستمعًا لأغنية من الراديو حتى وصلنا إلى شارع فرعي على جانبيه عمارات قديمة ومحلات بقالة وأخرى لبيع الألبسة وثمة مقهى صغير عند الزاوية.

توقف أمام بناية لونها يميل إلى الأصفر و شرفاتها صغيرة بعضها مليئة بأصص النباتات والزهور والبعض الآخر تتدلى منها حبال لنشر الغسيل.

قال لي وهو يشير إلي بالنزول:
- للبناية بابان ... الآخر يؤدي بك إلى حديقة الحي الخلفية ... صدقيني ... لولا أن مالكها صديقي لما عرفت بأمرها ... متأكد إنها ستعجبكِ.

وأنا ما زلت واقفة استطلع المكان ... خرجت من باب البناية سيدة في أواسط الخمسينيات من عمرها ... تضع نظارات طبية إطارها مذهب ... توقفتْ قليلًا قبل قطعها الشارع منعطفة إلى اليمين.

شيء ما لا يشبه أي شيء هبط عليّ في تلك اللحظة ... تولتني الدهشة واستبدت بي المفاجأة ... امتلأ قلبي بضباب كثيف غطى على عيني وكأني أقف بين الموت والحياة ... تسمرت في مكاني محدقة فيها حتى لاحظ السمسار ذلك فقال لي بعد أن وزع نظراته بيني وبينها:
- هل تعرفين هذه السيدة؟؟
أجبته في ذهول:
- تشبه امرأة أعرفها .. امرأة ماتت منذ زمن ...؟
- على كل حال ... جيرانك أناس طيبون ... كوني مطمئنة.

بكل ما أملك من دهشة بقيت أنظر إليها حتى غابت في زحمة الشارع ... هنـــا شعرت بسريان الدم في أوصالي وبتدفق العتمة من تلك الأوصال التي بدأت ترتعش من جلبة الأفكار التي اشتعلت بصمت في رأسي ... ها أنذا ثانية في مشهد ظننت أن سنوات من العلاج النفسي كانت كافية لتسدل الستار عليه.

لم أسمع السمسار وهو يدعوني للإسراع حتى انتبهت إليه وهو يغيب داخل البناية.

لاحظ السمسار أنني لم أكن على ما يرام وأنا اتفقد الشقة التي كانت تحتوي على صالة معيشة واسعة ومشمسة كما طلبت وحجرتين للنوم مع مطبخ وحمام صغير.

ظن أنني لن أوافق ... فبدأ يذكر لي محاسنها قائلًا:
- قد تكون حجرات النوم صغيرة قليلًا لكن موقعها القريب من مركز المدينة يجعلها مميزة جدًا لهذا هي مرتفعة الإيجار قليلًا لذا لا أنصحك بالتفكير طويلًا ...

قاطعته وشعورًا بالاضطراب يسيطر علي:
- جهز لي العقد بأقرب فرصة.

في نهاية الشهر انتقلنا إليها ... كانت أمي هي السعيدة بينما أختي الصغيرة عبرت عن حزنها لأنها تركت صديقاتها في الحي القديم وأكدت بما لا يقطع الشك إن المدرسة الجديدة لن تنال رضاها أبدًا.

وفي زحمة العمل نسيت تلك السيدة لأنني لم أقابلها ثانية حتى ظننت أن خيالات الماضي وكوابيسه ما زالت تلاحقني ... تزحف نحوي كالعقارب بينما أقف وحيدة في صحراء بلا نهاية.

مر أسبوع قبل أن أصادفها ثانية عند باب المصعد ... إذن ماشاهدته لم يكن وهمًا .. اقتربت منها بحرص ومع كل خطوة أشعر بثقل الكلمات على لساني.

بدأت اتفرس فيها قبل أن أعرّفها بأنني جارتها الجديدة ... كنت حريصة على عدم ذكر اسمي أمامها ولا أعرف لماذا ... ربما خوفي من المواجهة كان السبب ... كنت أريد فرصة أخرى ألتقط فيها أنفاسي.

رحبت بيّ بحرارة قائلة: إنها تعلم ذلك لكنها تنتظر الفرصة المناسبة لتدعوني وأمي لشرب القهوة ... فكانت صبيحة الجمعة هو الموعد المقرر للدعوة.

ابتسمت لي قبل أن تستقل المصعد وتغيب داخله ... ما زال الجمال عالقًا في ملامح وجهها رغم إنها بدت أكبر من عمرها ... شيئان فيها أكدا ظنوني وجعلني أقف على أرض راسخة ... بريق عينيها وتوهجهما التي لم تطفئه السنون ونبرة صوتها التي ترن في أذني منذ آخر مرة سمعتها تتحدث ...

كنت في العاشرة من عمري حين رأيتها من ثقب الباب عارية في أحضان صديق أبي الذي كان يتردد علينا كثيرًا كانت هذه المرة الأولى التي أعرف فيها ما يفعل رجل وامرأة على الفراش ... بل هي المرة الأولى التي أرى فيها أجسادًا عارية ... هالني منظرهما فهربت إلى غرفتي ...

لا أتذكر ما حصل بعدها إلا أنني حينما فتحت عيني وجدت أبي جالسًا عند رأسي في المشفى وهو يدس يده المرتجفة بين خصلات شعري ... ما أذكره أننا حين عدنا لم نجدها في المنزل ...

عند المساء أخبرته بما رأيت ... وحينها رأيت الحزن يبعده عني ... فخشيت فقدانه هو الآخر.

فوز حمزة
العراق

بقيت ذكرى المشهد الذي عجل بكهولتي راسية عند شواطىء ذاكرتي ورؤيتها الآن سمحت للعواصف بالهبوب ثانية على تلك الشواطئ لبعثرة كل شيء.

أمسى أبي رجلًا آخر ... حول البيت إلى سجن لا يسمح لي بالخروج منه إلا إلى المدرسة ... لا يقبل كلمة من إنسان ويرفض استقبال الزائرين ... متخبطًا في قراراته ... لم يعد شيء يجمعني به سوى الخيبة.

أما أنا فقد حولني ثقب الباب إلى طفلة حكيمة كبرت قبل أوانها وفوق عمرها بينما

سنواتها الأولى من عقدها الثاني باتت باهتة كمريضة لا هي بالميتة ولا هي بالمشافية.
***
انتظرت يوم الجمعة ... أعد الدقائق و الثواني كي التقي المرأة التي جعلتني أنظر للحياة بعين واحدة. ارتديت ثوبًا فضفاضًا خفيفًا في ذلك النهار الذي بدأت شمسه حامية أكثر مما ينبغي ...

سألتني أمي ونحن واقفتان على بابها:
- سندعوها لزيارتنا في الجمعة القادمة، ما رأيك؟
- لا بأس.

دخلت شقتها كغريق يبحث عن زورق نجاة وسط بحر مليء بأسماك القرش ... أحضرت لنا السيدة ما وعدتنا به من أكواب القهوة ... وأنا ارتشف قهوتي سألتها عن الرجل المعلقة صورته على الحائط لأتخلص من الأفكار التي تدور في رأسي كدوران الريح في ليلة شتاء ...

قالت دون أن تنظر إلى الصورة:
- إنه الرجل الذي تركت العالم من أجله لكنه ...
قطعت حديثها بتنهيدة كأنها تذكرت شيئًا لا تريد منا معرفته.

وهي تودعنا عند الباب ... حصل الذي خشيت منه حين سألتني عن اسمي ... تفرستْ هذه المرة في وجهي طويلًا حينما علمت أن اسمي سارة ... كأنها تذكرتْ شيء ما.

صوت أمي وهي تطلب منها رد الزيارة في أقرب فرصة أخرجها من صمتها وجعلها تتلعثم معلنة الموافقة بأشارة من رأسها ... لكن ذلك لم يحصل ... إذ لم نقابلها ثانية.

قد أخطىء في كل شيء إلا في ذلك العبق الصادر منها كأنه أول لحظة عند فتح خزانة ثياب شتائية ... ما زالت بقاياه عالقة في روحي.

مضت أيام عديدة ترقبت فيها رؤيتها أو مقابلتها صدفة دون جدوى ... أمي حسمت الموقف عندما أخبرتني بأن جارتنا الوحيدة كما يحلو لأمي تسميتها ترقد في المستشفى مريضة وليس لديها أقارب يعتنون بها لهذا علينا القيام بالواجب قدر استطاعتنا.

ذهبت لعيادتها وحين رأيتها مستلقية على السرير يعلو وجهها اصفرار الموت المتربص بجبروت جسدها ... شعرت بمؤشر الميزان يقف عند المنتصف ... سرعان ما أبعدت هذا المشاعر المخجلة التي صورتني كحديقة خاوية وقت الشتاء أو كشجرة في فصل الخريف وقد تعرت عنها زينة الحياة.

شعرت بالكلمات تملأ صدري دون إيجاد متنفس لها ... تدور كما يدور دولاب الهواء بعد علمي انها مصابة بمرض عضال جعلها على موعد مع حرب جديدة لن تنتهي لصالحها ... حزنها الأكبر أنها ستغادر الحياة وحيدة بعد تخلي الرجل الذي من أجله تخلت عن كل شيء.

وهي تحدق بيّ قالت:
- كما نبذت الجميع نبذتني الحياة.

استغربت كيف إنها أخبرتني بكل هذه الأشياء، لعله الموت الذي يحرص على قلب الصور وتغيير الألوان.

جلست عند حافة السرير أرقب جسدها المركون وأنفاسها الضعيفة ... استعيد مع نفسي ذكريات كانت وما زالت تهزني هزًا بينما الصمت وحده يهذي ... فالكلمات أنزوت بعيدًا تنتظر الحصاد.

أردت الهرب مع سري الدفين وتركها وحيدة ثأرًا لطفولتي ... لكن منظر الأسلاك التي تحيط بجسدها كانت كالجدران العالية التي حالتْ بيني وبين تنفيذ ما فكرت به ... صراع مرير نشأ داخلي لحظتها وحاجة خبيثة خطرت لي من جراء شريط الذكريات الذي التف بقوة حول رقبتي ...

فكرت في إيقاف الأجهزة التي تربطها بالحياة لأرقب الموت وهو ينتزع الروح منها ... لكن لحظة تجلي شعرت فيها بانتصار إنسانيتي على كل شيء رغم أن صورة أبي الحزينة لن تستطيع أية ممحاة تغيير معالمها ... فعيناه التي سكنهما الإنكسار والخيبة لآخر يوم في حياته ...

يغشاني البكاء حين أتذكرها ... في تلك اللحظة وأنا أرى الموت في كل ثانية يطفىء خلية من خلايا جسدها كان الواجب هو الذي يملي عليّ ما أفعل وليس شيئًا آخر.
سأمضي اليوم وغدًا كما مضيت في الأمس ... لكن بذكريات وصورًا جديدة علها تعيد إلي شيء من ذلك التوازن النفسي الذي فقدته في مرحلة ما كنت في حاجة لمن لم يكن من الطبيعي فقدانهم ...

فتحت النافذة لأجد العالم الذي يحيطنا صغير جدًا... بدأت بطرد ذبابات الحقد فالعالم لا يسع المعارك التي نخوضها مع أنفسنا.

شعرت بحب جارف نحو أمي فاتصلت بها لأخبرها كم أحبها ... في تلك اللحظة تمنيت لو أنني أختبىء تحت جناحيها أتدفأ.
قلت لها وثمة دمعتان انحدرت على خدي:
- أمي .. لأجلي كوني مستيقظة حين أعود.

استفاقت الجارة الغريبة من غيبوبتها بعد مغيب الشمس وعلامات الموت ترسم ببطء إشاراتها على وجهها وجسدها، وهي توصيني خيرًا بأمي ... أجبتها:
- ليست أمي ..إنها زوجة الأب التي ربتني وتمسكت بيّ حتى بعد وفاة أبي ... النور الذي أنار حياتي منبعه قلبها النقي وروحها الطاهرة.

وبصوت واهن سألتني:
- وأمك ... هل توفيت؟
وأنا أحدق عبر النافذة وثمة دمعتان عالقتان في محجري أجبتها:
- أمي تركتني وأنا في العاشرة من عمري لتهرب مع عشيقها.

هنا شهقت سيدة ذلك العبق الذي ظل طوال أعوام عالقًا بذاكرتي قبل أنفاسي ... فكانت شهقة الحد الفاصل لها ما بين الحياة والموت وكأن الله أرادني حضور هذه اللحظة وذلك الفاصل ... وكانت لي شهقة الحد الفاصل ما بين الحياة والحياة.❑❑

قسم الأدب المقارن في الجامعة المغربية: من السوري أمجد الطرابلسي إلى الدكتورة نورة لغزاري

عبداتي بوشعاب
المغرب

❑ منذ ظهور الأدب المقارن وهو يرتبط بالتوجيه التعليمي. فالدرس ولد في أحضان الجامعة الفرنسية (1) وتقدّم في الجامعتين الأمريكية والسوفيتية (2). ولازمها في نشأته وتقدمه وانتشاره، حتى وصل مختلف جامعات العالم ومنها العربية المشرقية والمغاربية وبلدان أخرى بدرجات متفاوتة (3). أتى أساسا عن طريق البعثات الطلابية في بريطانيا وفرنسا خلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين وولج الجامعات العربية مشرقيا ومغاربيا.

الجامعات المشرقية - مصر، العراق، لبنان، الكويت:

عرفت هذه المرحلة أسماء أحمد خاكي، مهدي علّام عطية عامر، حسام الخطيب، محمد غنيمي هلال، صفاء خلوصي. يُميز عطية عامر بين مسارين أساسيّين، من تطور الدرس المقارن في مصر، الأول عُني بدراسة لغات أجنبية في الثلاثينات، أما الثاني فتُوج بقرار دراسة الآداب الأجنبية والأدب العربي المقارن خلال الأربعينيات.

تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الأدب المقارن عندما قرر المجلس الأعلى لدار العلوم سنة 1943، أن يصبح الأدب المقارن مادة جامعية مستقلة، ولكن لم يقرر هذا المجلس إنشاء قسم خاص بالأدب المقارن، وإنما اعتُمد كفرع من قسم سمي "النقد والبلاغة والأدب المقارن " (4)

تنتهي مراحل تأسيس الأدب المقارن في مصر بما يمكن أن نطلق عليه مرحلة المتخصصين، وتبدأ هذه المرحلة في الخمسينات، عندما بدأ الذين تخصصوا في الأدب المقارن بباريس في الرجوع إلى مصر، والتحقوا بالجامعات المصرية للتدريس منهم محمد غنيمي هلال وحسن النوتي، تلميذا الدرس المقارن الفرنسي، إضافة إلى عطية عامر وأنور لوقا.

في جامعة بغداد بالعراق تولى صفاء خلوصي التدريس، وكان يقارن في محاضراته بين الأدبين العربي والإنجليزي، ويجعل من الترجمة مجالا تطبيقيا. أما في لبنان فقد تولى مهمة التدريس كلٌّ من ريمون طحان وطه ندا. وفي سوريا كان هناك حسام الخطيب، كما نظمت جامعة دمشق الملتقى الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن سنة 1986. وعرفت جامعة الكويت الأدب المقارن من خلال الدكتور شوقي السكري، وقد تطور هذا الدرس بالكويت إلى أن أصبحت تنظم المؤتمر الدولي للأدب المقارن (5)

الجامعات المغاربية - تونس، الجزائر، المغرب:

بدأ الأدب المقارن يأخذ مكانه في المغرب متأخرا، وذلك سنة 1963، نظرا لحداثة الجامعة المغربية، وارتبط باسم السوري "أمجد الطرابلسي" الذي ربط الدراسات المقارنة بالمنظور التاريخي للمدرسة الفرنسية، وقد تفرد الأخير بتدريس المادة لمدة طويلة –حوالي العقدين- وهو يعتبر أن المغرب أقرب البلدان العربية إلى أوروبا متّعه خلال تاريخه بأن يحتل مكانة خاصة تلتقي فيه الثقافات العربية الإسلامية بالثقافات العالمية (6)

اقترح محمد عزيز الحبابي عميد كلية آداب الرباط 1962، على أمجد الطرابلسي القيام بتدريس وحدة الأدب المقارن في قسم اللغة العربية، وكان إقبال الطلبة مشجعا كما كان يزداد، كما تدل على ذلك سجلات الكلية. أما في تونس فقد درس الأدب المقارن بكلية آداب العاصمة، انطلاقا من أكتوبر 1972، وبالمدرسة العليا للأساتذة 1974، وقام أساتذة اللغات الفرنسية، الإنجليزية، والعربية في التدريس حيث قدم المنجي الشملي محاضراته حول موضوع مشاكل الأدب العام والمقارن، ودرّس أيضا مادة العرب والفكر الأوروبي. وفي الجزائر أسّس جمال الدين بن الشيخ مجلة الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن سنة 1967، وعقدت الرابطة العربية للأدب المقارن ملتقاها الأول بجامعة عنّابة سنة 1984 (7)

الأدب المقارن في المغرب من كتابات نقدية متفرقة إلى درس أكاديمي جامعي:

كان أمجد الطرابلسي يطمح إلى إحداث معهد عالٍ، يكون ملتقى لجميع المهتمين على الصعيد العالمي والدولي في الأدب المقارن، ويقوم بدور الحافز والمنسق لجميع الجهود التي تبذل بين الكليات المغربية كما هو عليه الشأن في جميع الجامعات العالمية، وإنشاء خزانة خاصة بالأدب المقارن، لتكون مرجعا للمهتمين. وقد أشرف على تدريس هذا التخصص في جامعة محمد الخامس خلال الستينات والسبعينات (8.)

في مرحلة الثمانينات سيستمر الدرس المقارن في الجامعة المغربية في الرباط وفاس بفضل فريق من الأساتذة في مقدمتهم سعيد علوش وحسن المنيعي ومحمد أبو طالب. من خلال المحاور التالية: محور مناهج الدرس من خلال مدارسه الفرنسية والأمريكية والسلافية والعربية للتعريف بمختلف النظريات المقارنة، ومحور مكونات الحداثة في الأدب العربي للبحث في تاريخ الأفكار، ومحور التأثيرات الثقافية في الأنواع الأدبية، ومحور صورة العرب في المسرح الغربي (9.)

ومن الواضح أن الدراسة كانت تتوخى تقديم تصورات الباحثين العرب والأجانب من خلال مستويين؛ بسيطٌ يتتبع مصطلح المقارنة ودوره في فهم الظاهرة الأدبية، مركبٌ يقدم المقارنة كعنصر من عناصر هرمنوتيك النثر الأدبي.

سوف يتقدّم الدرس المقارن في الجامعة المغربية بعد إحداث وحدات للدراسات العليا في بعض الكليات، وعلى رأسها كلية آداب الرباط التي سيتأسس بها مسار للتكوين والبحث تابع لشعبة اللغة العربية وآدابها يحمل اسم (ماستر الأدب العام والنقد المقارن) سنة 2006(10). من قبل الأستاذ سعيد علوش ونخبة من أساتذة الكلية ينتمون لمختلف الشعب والتخصصات، وما يزال هذا الماستر يساهم في تكوين دفعات من الطلاب تحت إشراف ثلة لامعة من الأساتذة والأستاذات منهم نورة لغزاري كأستاذة زائرة من جامعة ابن طفيل، وفاتحة الطايب التي تولت مهمة التنسيق بهذا القسم بعد تقاعد البروفيسور سعيد علوش سنة 2010، وهو الحائز على جائزة عالمية عن أطروحته «مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي» عام 1999 بالمملكة العربية السعودية، وهي جائزة الملك فيصل.

يسعى هذا الماستر(11) الفريد في الجامعة المغربية إلى إرساء دعائم تكوين نسقي يرسّخ توجهات الدرس المقارن المعاصرة إلى عبور حدود اللغات والآداب والأنواع والثقافات، في سياق مثاقفة عالمية إيجابية تؤكد على الانفتاح والتلاقي، دون إغفال العمل على تأصيل الكيان. ذلك من خلال أربعة فصول بيداغوجية حيث يقوم الأساتذة المكونون بتدريس هذا التخصص عبر اعتماد مواد فكرية متنوعة تستحضر تيمة المقترنة، كمناهج الأدب العام والمقارن، الدراسات الثقافية، نظريات الآداب والأجناس، تمثلات شرقية وغربية، الآداب المغربية باللغات الوطنية، نصوص ولغات أجنبية، تاريخ الأفكار، المقدس في الأدب ودراسة النوع، الاستشراق والاستغراب، دراسات الآداب الموازية: الحكاية الشعبية والشعر الشفوي، نصوص ولغات أجنبية، النظريات الأدبية ما بعد الكولونيالية، التراث العربي والتثاقف، الأدب العالمي: الآداب الفرانكفونية شمال وجنوب الصحراء، الأدب والفن، سينما وتشكيل، الدراسات المسرحية : من النص الى الفرجة، الآداب الموازية: المتخيل السياحي والرحلي. ويُختتم هذا المسار التكويني الأكاديمي بإعداد الطلاب رسائل بحثية جامعية تتماشى وإطار الأهداف البيداغوجية العامة للماستر.

لقد وُلد الأدب المقارن في الجامعة وانطلق منها وما يزال يرتبط بها، ومع أنه درس أدبي جامعي إلا أنه لم يبق رهينا بالباحث الجامعي فحسب، بل تعدى حدود ذلك إلى الخروج بالدارس من دائرة الثقافة الواحدة إلى التلاقي بالثقافات العالمية، وليهتم بالعلاقات الأدبية والفكرية والثقافية التي تتجاوز الحدود الجغرافية. الأدب المقارن جزء من الأدب العالمي، يمثل رؤية انفتاحيةً على الآخرِ: القريب والبعيد، الأوروبي والعربي، الإفريقي والآسيوي، الأوقيانوسي واللاتيني... وعلى مختلف شعوب الأرض باختلاف لغاتهم وأعراقهم وبيئات نشأتهم❑❑ .

مراجع وهوامش:

دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن. ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد كتاب العرب، ط 1، دمشق 1998. ص 12.

رينيه ويليك & أوستن وارن، نظرية الأدب. ترجمة عادل سلامة، دار المريخ للنشر، ط 1، الرياض 1992. ص 66.

سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي. الشركة العالمية للكتاب، ط 1، الدار البيضاء 1986. ص 18 وما بعدها.

محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر. دار نهضة مصر، ط 1، القاهرة 1992. ص 41.

سعيد علوش، مرجع سابق 66.

نفسه، ص 123.

نفسه.

نفسه، ص 164

نفسه.

موقع الويب الرسمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس، تاريخ الدخول: 12/04/2022،

-الأدب-العام-والنقد-المقارنwww.flshr.ac.ma -

نفسه

عيدكم سعيد! وداعاً شيطان رمضان!

عذري مازغ
المغرب

❑ في رمضان تقيد كل الشياطين إلا شيطان رمضان! ذلك الذي يدخل الناس إلى السجن دون ارتكاب أي جريمة تمس بالمجتمع، هذا هو شكل تضامني مع معتقلي مقهى الدار البيضاء

بعد ذهاب شيطان رمضان، الآن يصح أن ننظر في مشكلة الفاطرين بمقهى الدار البيضاء بهدوء كبير، نعرف ان الكثير من الناس تغرم رمضان: النساء لا يصمن أثناء الحيض رغم أن الأمر لا علاقة له بالأكل لأنها حالة طبيعية في الجنس النسوي (أغلب النساء لا يفطرن مع ذلك لسبب ساذكره فيما بعد، له علاقة بالتحدي: مقاومة الجوع كتحدي للصبر في الثقافة الشعبية المغربية)، البعض الآخر سيغرمه لسبب ما، مرض ، سفر، قيء...

لا أدري، ضرورة معينة، وهؤلاء جميعا يفترض فيهم تغريمه بصيام تلك الأيام التي افطروا فيها، هنا لا داعي للدخول في خرافات الإطعام وتحرير الرقبة وغير ذلك، فالأمور تبدلت ومفهوم المسكين مخل في زمننا لكرامة النفس، وطبعا نقاشي محصور بالمغرب فقط حتى لا يفهم الأمر بخلفيات أخرى، هناك امران مهمان حول هؤلاء الغارمون، إنهم سيعيدون صيام تلك الأيام بقدر ما (ودعونا نتكلم فقط على الإغرام بالصيام) لنناقش أمر ما يثار حول مفطري مقهى الدار البيضاء، اقصد الذرائع التي صاغها الجمهور المؤيد لقانون ليوطي 222 الذي بموجبه يعاقب المفطر بدون سبب في رمضان بعقوبة حبسية من شهر إلى ستة اشهر وغرامة مالية، هذا القانون الفرنسي (وليس فتوى فقهية من الازهر او من إحدى الجامعات الإسلامية) شرع بسبب تمييزي بين فرنسيي الحماية والشعب المغربي إبان الإستعمار الفرنسي للمغرب بسبب كثرة اعمال العنف اتجاه المقيمين الفرنسيين بالمغرب خصوصا بالمناطق الحضرية (المدن بالخصوص) أي وبمنطق إسلامي محض، في قراءات لنصوص إسلامية معينة، بغض النظر عن تأويلها، يعتبر رمضان شهرا للجهاد: الجهاد في النفس (مقاومة الجوع) الجهاد في الكفار وغير ذلك من الجهادات المتعددة في الإسلام، الحماية الفرنسية صاغت هذا القانون بشكل فقهي أكثر من الفقهاء أنفسهم، فهو من جهة يحمي الفرنسيين ومن جهة ثانية يوجه العنف إلى المغاربة، يقول النص التشريعي:" كل من عُرف باعتناقه الدين الإسلامي، وتجاهر بالإفطار في نهار رمضان، في مكان عمومي، دون عُذر شرعي، يعاقب بالحبس من شهر إلى ستة أشهر وغرامة من اثني عشر إلى مائة وعشرين درهما".

(هي نفسها الصياغة الفرنسية وإن تغيرت المصطلحات، فهي هنا أوضح لسبب آخر سناتي عليه).

ظروف النص التاريخية تختلف عن ظروفنا خصوصا في منطوق الدستور المغربي حول حرية الاعتقاد، يفترض اننا مستقلين سياسيا بالفعل وليس هناك تمييز بين المواطنين لحماية الأجانب، لكن توريثه من فرنسا يعكس جانبا آخر منه هو حماية السياح من الدول الغربية في المغرب وهذا ما اقصده بالسبب الآخر.

إن سبب تشريعه بالنسبة للحماية الفرنسية هو حماية مقيميها بالمغرب إبان الحماية، أي ردع المقاومة ضد المحتل من خلال تشريع ديني تماهت فيه فرنسا المحتلة مع خلفية المقاومة (أرجعت مقاومة المغاربة لها غلى مشكل ديني هو استفزاز الصائمين)، إنه نص ذكي لأنه حينها وجه العقاب إلى المعروف باعتناقه للدين وليس الآخر المحتـل وهو الاستثنـاء وهو ما نجحت فيه فرنسا الاستعمارية إلى الآن برغم أنها خرجت كما يقال (استقلنا عنها)، لكن هذا التشريع تحول في العقل الجمعي إلى أداة سلبية هي تحريض المغربي ضد المغربي بسبب الإفطار على الرغم من أن الأمور في الإسلام متفاوتة، فالصلاة مثلا عند كل المسلمين هي عماد الدين إلى جانب الشهادة لكن ليس هناك من يعاقب على ترك الصلاة برغم أنها الركن الأقوى، (بالقاس: الأجنبي الذي لا يصلي ليس مستفزا) وليس هناك أضا من يعاقب على ترك الشهادة، على سبيل المثل ووفقا لكون الدين دين يسر وليس دين عسر كما في الإسلام الطبيعي (إسلام الوالدين كما نقول نحن في المغرب)، ليس هناك ما يفرض عقوبة على ترك بعض اركان الإسلام (واعتقد بانه لا يوجد عقاب بنص تشريعي على ترك أحد الأركان في كل البلدان المسلمة إلا في المغرب وموريتانيا: في المغرب نص ليوطي المقيم الفرنسي، وفي موريتانيا نتذكر هنا تداعيات الحكم بالإعدام على شخص انتقد نصا تراثيا في الإسلام واتهم بالردة أو نكران الشهادة رغم أنه لم ينكرها بل فقط انتقد نص تراثي). قبل الدخول في ذريعة المؤيدين لقانون 222 سأتكلم بقليل عن سوسيولوجية رمضان في المغرب قبل هذا القانون وبعده إن شئتم لان هذه الثقافة لا زالت حتى الآن، يمثل رمضان فيها نوعا من التحدي (جهاد في النفس كما قيل) تحدي الجوع والقدرة على الصبر، لذلك نجد المغربي المشبع بهذه الثقافة يصوم رغم ان الطبيب نصحه بعدم الصوم لأسباب صحية، مثلا مريض بالكلي نصحه طبيبه بشرب الماء بكثرة وبشكل متوازن طيلة اليوم، اغلب المغاربة لا يحترمون نصيحة هذا الطبيب.

في العقل الجمعي المغربي: عدم الصيام، يعبر على أن الشخص شخص غر، ضعيف كالطفل، يفتقد القدرة على التحمل وليس أنه مشكوك في إيمانه: الدليل على هذا هو ظاهرة تناول الحشيش طيلة الليل (تناول المخدرات بشكل عام) والصيام بالنهار (الفقه لم يتناول هذه الظاهرة ويصدر فتوى) بمعنى أن هذا الشخص يبقى مخدرا طيلة النهار، امر آخر، لا احد يستطيع ان يجادلني في الأمر لأنه وكما تحضر ربات البيوت "الشباكية" والحلويات الأخرى الرمضانية، يحضر ايضا متناولي المخدرات أشكال مخدرة خاصة برمضان: الشيشة المنغمة، "المعجون" (هو خليط زريعة الكيف بالطحين المكوى وغيرها)، إن كل هذه الأمور، بحسب الحس الإسلامي الطبيعي (إسلام الوالدين كما أشرت) رمضانهم وصيامهم غير حقيقي أي انهم فاطرون كما الفاطرين بقناعات إيديولجية معينة.

سنبقى في القناعات السوسيولوجية دائما: في الأدبيات الإسلامية (لا ادري هل هناك نص صريح من الحديث او القرآن في الأمر، شخصيا أعرف ان هناك امور هي إسرائيليات اكثر منها إسلامية مع العلم ان الإسلام نفسه أخذ الكثير من الإسرائيليات: في المغرب مثلا، كانت الأسماء الامازيغية تتعرض للمنع بينما أسماء ذات أصل يهودي لم تكن محرمة مثل إبراهيم، إسماعيل، موسى وغيرهم، بالمناسبة لست ضد وضع أسماء يهودية لكن ضد منع الاسماء الأمازيغية) حول لحس الكلب لإناء، يقال أن غسله لا يقتل اللحس لمدة اربعين يوما (أسرد فقط ما هو في الثقافة الشعبية المغربية)، في المغرب يتوقف المسلمون الشعبويون عن تناول الكحول أربعين يوما قبل دخول رمضان (الكحول تنتهي من الجسم في أربعين يوما حسب الاعتقاد الشعبي، اضف إليها أيضا لحم الخنزير)، ليس هناك ما يثبت هذا علميا، لكن هو اعتقاد شعبوي بسببه لا يتناول الكثير من المغاربة الخمر طيلة شهر شعبان ورمضان، وعلى كل حال، أدرجت هذا الامر لسبب بسيط هو مقارنة الأمر بحشيش رمضان ومخدراته العجيبة التي كما قلت تحضر كما تحضر ربات البيوت أكلات رمضان.

القصد من ذكر هذه الأشياء هو انها لا تثير استفزازا كبيرا للمسلمين المغاربة من مناصري الفصل 222 الفرنسي، فقط ما يثير هو الإفطار العمد بسبب الاعتقاد الذي يناقض حرية الاعتقاد في الدستور المغربي وهذا ما اوضحته في أن فرنسا نجحت في أن تؤطر بهذا القانون تحريض الصائمين المغاربة ضد المفطرين المغاربة

(وربما هذا ما تنبأ إليه المشرع في تونس الذي ترك المغطر في رمضان بدون عقاب)، كان ذلك نوع من الملهاة الإيمانية بين المغاربة لنسيان قضية الاحتلال (هذا ايضا ما تريد إسرائيل توظيفه في الصراع الأخير حول المسجد الأقصى مع ان إسرائيل تفتقد حنكة الليوطي الفرنسي).

الآن سنعود إلى الإشكال الذي طرحته في البداية وهو ذريعة الاستفزاز: استفزاز المفطر للصائم وهو في الحقية تحول راديكالي: سابقا كانت فكرة التغريم مسألة عادية: كان الحصاد في رمضان صيفي يفطرون والأمر لم يكن مستفزا، اكثر من ذلك، كان صاحب الحقل يهيء لهم غذاءهم دون ان يثير الأمر اي استفزاز (إسلام اليسر).

في الادبيات الشعبوية الإسلامية أيضا كان يعتمد النص القرآني: "وإن ابتليتم فاستتروا" وهو نص يبيح الإبتلاء واعتقد انه النص الذي يعتمده أيضا صانعي "المعجون الرمضاني المخدر" كما ذكرت، لكن حين يغرم المسلم أيام فطوره في رمضان، لماذا لا تحضر عنده غريزة الاستفزاز: هو صائم والقطيع يأكل أمامه، نعم هي قضية قلب: العامة صائمة والبعض يفطر، هذه ينظر إليها على انها استفزاز، لكن مالفرق: العامة آكلة والبعض صائم (مغرموا رمضان)، هذه لا ينظر إليها أنها عمل استفزازي، هذه المعادلة تضحد تماما الفصل 222، إنه فصل فاشيستي قافز على مفهوم المواطنة بمعنى التشريع الدستوري الذي يبيح حرية الاعتقاد.

الأمر الآخر: لا يستفز أو لا يعتبر الأمر استفزازا حين يعيش مسلم بالمهجر وهو يصوم وعامة الناس لا تصوم: في كل السنوات التي عشتها في أوربا، لم يشعر مسلم راديكالي بالاستفزاز وهو صائم في مجتمع فاطر، وهذا إشكال آخر يتأطر بعلاقة الذات بالآخر: المفطر في البلدان الاوربية من أصل بلد مسلم لا يعتبر أن له مواقف من الدين بل يعتبرأنه خائن لذاته ويتمثل بالغربيين بالنسبة لمهاجر مسلم مثله (نفي علاقة الإقناع والاقتناع: على المسلم بإرث والديه ان يكون مسلما دائما، تحوله بسبب قناعاته هو ردة، هذه تعتبر في الشرع ردة وهي منافية لحرية الاعتقاد)، أي انه يعتبر ضمن إخوان الردة وهذا إشكال آخر هو: المولود في مجتمع إسلامي هو بالضرورة مسلم ويصح عليه قانون التشريع الفرنسي 222 وهنا لا يؤخذ في الاعتبار تكوينه الثقافي الذي قد يحول اعتقاده وهو أساس التشريع الدستوري في المغرب الذي يضمن حرية الاعتقاد، بمعنى: قد اولد مسلما لكن هذا لا يرسخ قناعتي الشخصية بل لي قناعة بنيتها في سياق ثقافي معين وهو أمر يضحد منطوق الفصل التشريعي الفرنسي 222 ويظهر تناقضه: بمعنى قد اكون مسيحيا بالولادة ولكن ملحدا في سياق تراكم ثقافي معين أو مسلما وفي سياق تراكم ثقافي آخر مسيحيا والعكس بالعكس.

ما يناقض مفهوم القول في النص التشريعي " كل من عرف باعتناقه الإسلام" كيف تعرف الدولة اني مسلم؟ فقط لاني مغربي وابواي مسلمان، هذا يتنافى مع مبدأ التحول وحرية الاعتقاد: الإنسان كائن ثقافي متحول في القناعات وليس كائن ثابت لسبب بسيط هو ان ثباته يحوله إلى حجر وليس إلى كائن حي سمته التحول والتغير : اليوم انا سعيد، غدا، لظروف خاصة قد أكون كئيب.

في الاخير: عيد فطر سعيد للصائمين مثل أبي: الصيام هو تحدي في التحمل، كثيرون يعتبرونه حماقة بدون معنى. □□

تصوف

مظفر النواب
العراق

□تصوف ...
أنا شاهدتك مولاي

كلُّ عامٍ سيدي
تخلُقُ ناساً للهوى
أجمَلَ مِن سابِقِهِم
وأنا تُنقِصُني
في العامِ عامَينِ
لماذا كلما أنقَصتَني عُمريَ
يزدادُ اشتياقيَ عَبَقا؟
ليتَ مولايَ وقد قَطّرتَني
يفهمُ ما قطّرتَ مَن ذاقا
فأقصى السُّكرِ فَهمٌ
شَرَقَت نفسي بِفَهمي
كيف لَومي آخَرٌ
عاذِلٌ قد شَرَقا
أنا شاهدتُكَ
في مرآةِ دُنياكَ فأُسكِرتُ
فماذا لو تَكَرّمتَ
بلا أيِّ مرايا
أو حبيباً دلَّ
في زاويةِ المرآةِ مولايَ
سقانا مِن رُضابٍ رَمَقا
تَخجَلُ الأشياءُ
إن جاوزتُها دون التِفاتٍ
هل خَلَقتَ الحُسنَ
إلّا لاقتحام العينِ
مولايَ؟

وقد تَسمَعُ عيناياَ خبايا
لم تَصلها الشمسُ كالحلمِ
واندسُ مِن النهدينِ
حيث التَصَقا
وتَمَرَدتُ على أنشوطةِ الدنيا
فما أبدَعَ تركيبةَ رأسٍ
يرفُضُ الشَّتَمَ
وقلباً يسكُنُهُ حُبُّكَ
فالحريةُ الكبرى فؤادٌ
أسَرَ العشقَ ورأسٌ أُطلِقا
فحاولوا صَيديَ بالنارِ
فأوحَيتَ لها
كوني سلاماً
فرَأَوا أن يَنثُروا مِن مُغرَياتٍ
ما لَهُ ميزانُ نجم الليلِ
قد مالا
فأسنَدتُ بِكَفِّ رأسي
كفّةَ الميزانِ مولايا
ليبقى كبرياءَ الكونِ
فَتّاناً كما قد خُلِقا
إنما إن جاءَني ذئبٌ
وفي عينيهِ جُرحُ العشقِ
والغربةُ والثلجُ
شَعَلتُ النارَ للضيفِ
تُرى يُمكِنُ يا مولايَ
غريبٌ يشتهي لحمَ غريبٍ
مِثلَ بعضِ الناسِ؟
مِمّن مِن لحمي أرادوا طَبَقا□□

برد العجوز

فارس التميمي
العراق

❑ منذ أكثر من خمسة عشر سنة أو ربما عشرين سنة، وأنا أنتبه إلى أن أخبار الأنواء الجوية أصبحت بشكل واضح أكثر دقة في الحدث وفي التوقيت ودوام الزمن، فقد وصلنا الآن إلى أننا نطالع قائمة الأيام لمدة الأسبوعين القادمين، وفيها ما سيحدث في الجو من حرارة ومطر أو غيوم فقط بدون مطر وغيرها من الرعد والبرق والريح الشديدة أو الهادئة. وكل ذلك بعد أن كان الناس يسخرون من الإختلاف بين ما تقرأه توقعات الأنواء الجوية وما يحصل فعلا. ورغم أني لم أكن أعرف موقفا واضحا للناس من عدم توافق الأنواء الجوية مع ما يحدث فعلا، إلّا أنه من المؤكد والواضح أن الناس اليوم -وأنا واحد منهم- أكثر ثقة بما ستقوله لي الأنواء الجوية عما سيحدث بعد عدة أيام من اليوم وعلي أن أتهيأ للأمر! وهذا طبعا فضله يعود للعلم والتطور العظيم الذي يحدث ونحن نسابق الزمن في الإكتشافات العلمية،، فالعلم أولا وآخرا،،!

منذ سنين طويلة وأنا لست على صلح مع وسائل الإعلام، ولم يكن إلا القليل النادر الذي تعلمته منها أو تعرفت عليه من خلالها مما كان صادقا وصحيحا. كان ذلك بالطبع منذ أن كنت أطالع الإعلام المحلي فقط وأنا في بغداد، حيث كنا نستمع لإذاعة بغداد فقط، ونقرأ في الغالب الصحف والمجلات العراقية، وكانت مجلة واحدة أذكرها تصدر في بغداد في السبعينات وهي مجلة ألف باء، فأنا شخصيا لم أقرأ مجلة عراقية غيرها عدا عن بعض المجلات الفنية التي كانت تأتي من مصر ولبنان فقط.

قبل مغادرتي العراق المغادرة التي طالت من دون عودة، كانت الأوضاع في عام 1978 والعام الذي تلاه لا تبشر بخير، وكانت الحملات تتركز على تصدي العراق لمخططات الأميريكان لتدمير وتشتيت شمل الأمة العربية!! التي لا أعتقد أنها كانت في يوم ما يهمها أن تكون عربية أو غير عربية، متحدة أو غير متحدة! وكانت في ذلك الوقت كل الصحف ومنها مجلة ألف باء، تترنم وتتغزل بالإنهيار الذي سيحل بالإقتصاد الأميريكي نتيجة هبوط الدولار، وكنت أنا واحدا من الجهلة الأميين في الميدان والمعرفة بالإقتصاد وبحساباته، وكنت لذلك أصدق ما تقوله لنا الدولة العالمة بحقيقة الأمور، ونحن ما علينا غير تصديقها وإنتظار الإنهيار الذي سيحل بأميريكا وربما كل المعسكر الغربي!

وإستمر معي ذلك حتى ذهبت في زيارة لأخي د. وليد التميمي (إقتصادي) الذي كان يعمل في الكويت،، ومن جملة الحديث الذي تناولناه وكان هو من فتحه معي عندما سألني: ماذا يقول الناس في العراق عن هبوط سعر الدولار؟ وكان سؤاله ذلك غريبا، رغم أنني تعودت منه أن يسألني أسئلة غريبة،، لكنني فعلا هنا أعدت الجواب له بصيغة سؤال: ماذا يقولون؟ فعاد لكي يلقي علي محاضرة أذكر منها ما معناه: أن الذين يفرحون بهبوط سعر الدولار في بلد هم يحكمونه،، هم أغبياء ويجب أن يحاكموا لغبائهم!!!

وباختصار فهمت منه وبوضوح أن العراق يعتمد في موارده على النفط وسعر النفط هو بالدولار عالميا،، وإذا هبطت قيمة الدولار سوف تهبط قيمة العائدات النفطية للبلد!! وهذا ليس مبحثنا هنا، لكنه بالتأكيد كان شظية من شظايا عقم وسخف الإعلام الجاهل والدولة التي يحكمها الجهلة، الذين لا يهمهم غير أنهم يتناطحون عن بعد مع من هو أكبر منهم وقادر على تحطيمهم متى شاء!!

بقيت هذه المسألة في بالي لحدود معينة ولكن لم تكن لها الأولوية،، وفي يوم وأنا أتصفح مجلة ألف باء،، وكنت تقريبا قد نسيت موضوع هبوط الدولار الذي كانت تروج له المجلة، ولذلك فقد وقعت تحت تأثير الثقة العمياء بما تطالعنا به مجلة شبه رسمية، يفترض أنها لا تطبع ولا تُنشَر إلا بعد أن تُراجع محتوياتها كاملة! وجذبني موضوع لا أذكر إسم كاتبه مع الأسف، كان الموضوع عن (تزاوج الإبل) والطريقة الرومانسية التي يتعامل بها (البعير مع الناقة) أثناء التقارب والتودّد فيما بينهما لغرض التزاوج! لم أكن قد سمعت ولا قرأت من قبل عن ذلك رغم أنني طبيب بيطري، وصحيح أننا لم ندرس إلا القليل عن الإبل وخواصها وميزاتها، ولا أذكر أننا قد مررنا على شيئ من هذا الذي ذكره الأخ الرومانسي كاتب الموضوع، والذي أسهب في الوصف عندما يقول أن الناقة تخجل كثيرا بطبعها، ولذلك فإن البعير يقودها لمكان لا يراهم فيه أحد وهناك تتم عملية التزاوج،،، وطبعا المخرج سوف يوقف التصوير قبل ذلك! والمشاهد لن يرى غير توجه البعير والناقة نحو الأفق لكي يغطيهم الضباب وثم ينتهي المشهد!!!!!!

أنا لا أعرف ماذا دهاني في ذلك الوقت،، فقد كنت عربيا متعصبا تعصبا أعمى لعروبتي وبشكل غير واقعي، ولذلك فقد سرحت مع ذكر الصحراء والإبل وأمرئ القيس وزهير بن أبي سلمى و عنترة وغيرهم،، وإعتبرت أن الموضوع موثق ولا يمكن التشكيك فيه،، هل يعقل أن الكاتب قد أصابه الخرف والهذيان وهو يكتب،،؟ وحتى لو حدث ذلك،، أين المراقبين الذين وظيفتهم هي فقط مراقبة المطبوعات والنشر؟ مقابل ذلك لم يكن بعيدا عن بالي بمجرد ذكر تزاوج الإبل، موضوع "برد العجوز" والذي كنا ونحن صغار نسمع من جدّاتنا، أن عجوزا كان لديها إبل قد مرّ عليها الشتاء ولم تتزاوج، ولذلك فقد طلبت من ربّها أن يعيد البرد لأيام لكي تتزاوج الإبل،، وهذا ربما كان الخيال والرومانس الذي خرج به البعض من القدامى، وقد تكون هنالك تفسيرات وخيالات أخرى في مناطق غيرها،، لكن أيا كان التفسير فقد ثبت في ذهني أن هذا البعير وهذه الناقة، هما من رموز هذه الصحراء التي تدفن الكثير من أسرار التاريخ ومن أسرار أمتنا وربما قيمتنا وميزاتنا!! كنت بالتأكيد موهوما بالكثير من التصورات!!!!

حملت ذكرياتي ومعلوماتي الصحيحة والأخرى المشوهة، النطيحة والمتردية وكل ما لدي وهاجرت إلى لندن عاصمة الضباب، عندما كان العراق يعيش قادسيته الثانية،، ونحن نعلم أن القادسية الأولى لم يكن للعراقيين دخل بها، لكنها كانت قادمة من الجنوب،، من صحراء الأجداد الذين لا يمكنني مهما كان ومهما حدث أن أخفي حبي لهم، وهذه مشكلة ربما أحتاج فيها لإستشارة طبيب متخصص! أما القادسية الثانية فإنها بالتأكيد لم يكن للعراقيين المساكين دخل بها، لكنها كانت تصب في صالح تحالف الطغيان بين من حكم العراق وبين من حكموا صحراء الأجداد،، وأعتقد أن هذا يكفي في الوقت الحالي من هذا الموضوع، فربما نعود له في وقت آخر وموضوع آخر.

وأنا في طريق هجرتي كنت كما كان الحال مع أجدادي الأوائل، عندما أجبروا في هجرتهم الأولى إلى الحبشة عند النجاشي، أنا في الحقيقة إخترت الخيار الوحيد المتاح لي وهو الهجرة إلى بريطانيا عند ملكتها المعظمة التي لم يُظلم عندها أحد!!

ولإختصار الموضوع أقول: أنني بعد فترة من عملي هناك حصلت على فرصة للعمل مع الصقور في قطر، وكانت تلك الفرصة عن طريق التقدم لها والتنافس مع أطباء آخرين من جنسيات مختلفة، لم أعرف أحدا منهم حتى كان هناك لقاء للأطباء البيطريين الذين يعملون في مجال الحيوانات البرية، يتم عقده في حديقة حيوان لندن بشكل دوري، ولأنني قد حصلت على فرصة العمل في قطر فقد دعيت لهذا اللقاء رغم أنني لم أكن بعد قد إلتحقت بعملي الجديد، وقد علمت بعد ذلك بفترة أن منظمي اللقاء كانوا يريدون التعرف علي،، لكي يكونوا على تواصل لمعرفة ما سيحدث بشأن هذا العراقي الذي سيعمل بشكل كامل مع الصقور، في عيادة تعتبر أول عيادة تفتح خصيصا للصقور، وأنا لم أكن في الحقيقة على علم بأهمية ذلك ولكنني عرفته فيما بعد. المهم هنا أنني عندما كنا على ما أذكر خمسة أطباء في فترة إستراحة نتشارك الجلوس على طاولة واحدة، كان الجميع يوجهون أسئلتهم لي عن مدى توقعاتي لعملي في قطر ولابد أنني متأهب وأشعر بالفخر والإثارة،، والحقيقة أنني رغم أنني كنت أسعى لتلك الفرصة لكنها لم تكن أفضل ما كنت أسعى له وأتمناه،، لأنني لم أكن أعرف عنها إلا القليل القليل! أما الذين كانوا يسألونني فقد تبين لي أنهم كانوا يرغبون بالحصول عليها، ولذلك فقد كنت بيني وبين نفسي أقول: أعطوني ما أنتم فيه وخذوا فرصتي هذه،، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه...

كانت الصحراء الفاتنة للغربيين أكثر من الشرقيين هي محور حديثنا،، ومنها طبعا كان ملك الصحراء "الجمل"،، ومن هنا كان أحد الأسئلة التي وجهت لي هي: كم أعرف عن الجمال وهل لدي نية للعمل معها لو تهيأت لي الفرصة؟ وكان جوابي هو أنني لا أعرف غير القليل والذي لا قيمة له،، ولكن بعضهم يبدو أنهم كانوا لديهم معلومات وإهتمام كبير بالجمال والرغبة في العمل في مجال رعايتها،، ومنها جائني كابوس الرومانسية التي

تحدث عنها ذلك الكاتب المجهول (لا جزاه الله خيرا) وعندما تحدثت عنها وبطريقة أنني سمعتها كمعلومة عن الجمال،، ظلّ الجميع واجمون للحظات!! حتى عاد لي أحدهم وسألني: هل تمزح؟؟ Are you kidding??

هذه المرة إنتابني أنا الوجوم،، فلم أعرف قصده،، هنا تبسم الآخرون وأخذوا الموضوع على نحو الهزل والضحك،، وقالوا لي أن الجمال تتزاوج في كل حدائق الحيوانات وفي كل العالم أينما أخذتها من دون مشكلة ومن دون خجل ولا أي إعتبارات أخلاقية!!!

لعنت في تلك الساعة مجلة ألف باء ودوائر الإعلام كلها،، وفي طريق عودتي بالقطار من محطة واترلو في لندن إلى محطة سولزبري كنت ألعن الساعة التي قرأت فيها تلك المجلة كلها،، والذي كان حسنا أنني علمت بأن المعلومة هي واحدة من الهذيان (الخرط) الذي لا قيمة له مما توافق عليه أجهزة الإعلام في النشر،، والجيد في الأمر أيضا أنني عندما وصلت إلى قطر، لم أنطق بكلمة عن الإبل حتى تعرفت عليها جيدا من خلال علاقاتي مع أصدقائي ومعارفي الجدد من أصحاب الصقور والإبل،، ومنها علمت أن البعير عندما يكون في موسم التزاوج لا يعرف الخجل،، ولا يهمه إن كان يراه الملايين وأنه لا يعبأ بأحد غير أنه يرغي ويزبد حتى ينتهي من عملة!!

هنا اليوم تذكرت كل هذا بعد أن عاد لنا الشتاء من جديد ونحن في ثاني شهر من أشهر الربيع،، وتذكرت برد العجوز وتذكرت كيف كنا جاهلين ومعلوماتنا ليست موثوقة،، وكنا نرى الأمور من زاوية الطيبة وتصديق الآخرين،، لا أقصد بذلك نحن العراقيون فقط،، بل كل أبناء منطقتنا، منطقة العالم القديم، والغريب ونحن الآن في رمضان تذكرت كيف كان رمضان ونحن صغار،، وتذكرت شيئا مميزا كنا نشاهده على التلفزيون ربما يوميا بعد الإفطار،،، نجاة الصغيرة وهي تغني من كلمات حسين السيد وتلحين الرائع المبدع رياض السنباطي "إلهي ما أعظمك في قدرتك وعلاك"،، وكان الملاحظ أن نجاة ترتدي الملابس التي ترتديها كل النساء في ذلك الوقت،، ملابس جميلة وأنيقة ومحتشمة ولم يكن أحد يعلق على ما تلبسه،،!

مالذي حدث بين ذلك الوقت واليوم،،،؟
غزو لا حضاري يجتاح البلدان!!! ❑❑

الرغيف

مصطفى سامي
مصر

"مِش تفتّح!!"
تناولت صابحة رغيف الخبز الذي قفز من يدها بعد أن صدمها شابٌ بدراجته، نفضت عنه التراب، وأكملت في طريقها نحو المنزل حيث ينتظر طفلها الوحيد.

لم يأبه راكب الدراجة بما حدث وبما قالت، نظر أمامه وتابع السير وكأن شيئاً لم يكن. أما هي فشعرت ببعض الألم في ذراعها حيث اصطدم به مقبض الدراجة، لكنها حاولت نسيان ذلك الألم، والتفكير بدلاً منه في مازن، طفلها الجميل ذو السبع سنوات الذي أراد أبوه تسميته حنفي على إسم جده، لكنها عارضته وصممت أن يكون اسم وليدها كأسماء أولاد البندر.

شارعٌ طويل يبدو وكأنّه بلا نهاية، والأسوأ من طوله هو الزحام الذي لاينتهي. لاتعلم كيف يتحمل هذا الشارع الضيق كل صفوف السيارات والميكروباصات والتكاتك في الاتجاهين، بالإضافة للبشر!

كم اشتكت لمحمود -زوجها- من الزحام في بداية انتقالهما إلى القاهرة منذ عدة سنوات، لكنه كان يخبرها أنهم مضطرون للاحتمال من أجل لقمة العيش وأنها ستعتاد الأمر بمرور الوقت، إلا أنها لم تعتده أبداً. لازالت تحنّ لأيام الهدوء والسكينة في قريتها التي لم تعد تستطيع الرجوع لها بعد أن مات محمود واضطرت هي للعمل في البيوت أحياناً، وفي بيع الخضروات أو الفاكهة أحياناً أخرى لتكسب مايكفي لإعاشتها هي وطفلها الذي تحلم بيوم أن تراه طالباً في كلية الطب، وهي تسخر حياتها وطاقتها ورزقها لأجل ذلك الحلم وحده.

قبل أن تصل صابحة لمنزلها بعدة أمتار سألتها فتاةٌ تقف على جانب الطريق: بكام الرغيف الكبير ده؟ فأجابتها: بجنيه. أحنت الفتاة رأسها نحو الأرض، وسارت مبتعدة. أكملت صابحة في طريقها، لكنها توقفت فجأة، وكأنه أتاها وحي ما، واستدارت نحو الفتاة.

"إستنّي"
انتبهت الفتاة ذات الرداء المليء بثقوبٍ تُظهر أسفلها ملابس أخرى ملئى بثقوبٍ أكثر، ونظرت نحوها بتعجبٍ تسألها بعينيها عن سبب النداء. سألتها صابحة إن كانت جائعةً فلم تنطق لكنها أجابتها بعينيها مجدداً وهما تكادان تبكيان من الخجل والجوع معاً.

"تعالي معايا"
سمعتها الفتاة فسارت بجانبها حتى وصلا معاً للمنزل، وصعدا لشقة صابحة في الدور الرابع. وجدا مازن يجلس منتظراً على كنبة في منتصف صالة الاستقبال، ولم يُبدِ أي رد فعل عند دخولها فقد اعتاد الأمر ولم يعد يبكي أو يخشى الجلوس وحيداً كالسابق، لكنه نظر باستغراب حين تبعتها في الدخول من الباب تلك الفتاة الغريبة التي يراها لأول مرة. أحضرت صابحة طبقاً به جبن وآخر به عسل أسود، قطعت الرغيف لثلاثة أجزاء، أخذت أصغرهم، وأعطت لطفلها وللفتاة الجزئين الباقيَين. في أثناء تناولهم الطعام بدأت صابحة في طرح الأسئلة على الفتاة، بينما كان مازن يتابعهما بعينيه وأذنيه دون أن ينطق بأي شيء.
"إسمي سلوى وعندي حداشر سنة..."
بدأت الفتاة إجاباتها عن أسئلة صابحة بتعريف نفسها، ثم بتلقائيةٍ أكملت حكايتها التي أثارت استغراب الأم وطفلها معاً.

لاتعرف سلوى أباها أو أمها، لاتذكر شيئاً قبل ملجأ الأيتام الذي أودعت به منذ سن مبكرة، وهربت منه منذ ثلاث سنواتٍ بعد معاناتها من الضرب وسوء المعاملة. سألتها صابحة إن كانت تمانع العمل معها، فوافقت والسعادة تملأ عينيها. سألتها عن مكان سكنها، فأخبرتها أنها تقضي يومها بين الشوارع، وفي الليل تنام في إحدى مداخل العمارات. عرضت عليها صابحة أن تبيت عندها في شقتها، فلم تصدق سلوى نفسها من الفرحة.

"من النهاردة انتي بنتي"
ابتسم مازن أخيراً بعد أن سمع كلمات أمه، وأدرك أنها قد أحضرت له أختاً للتو. أمسك القطعة المتبقية معه من الرغيف بعد أن أنهت سلوى الجزء الخاص بها فأعطاها لها، ثم قام متجهاً نحو غرفته ليحضر لها ألعابه لتراها.

تغريدة

كطفل متسول
يضع ليرة في كفه
حتى يضع مثلها المارون
أضع وطني في كفي
وأعرضه للجميع

نوال شق
سورية

Glorification in written Creativity and Freedom of Thought
تغني بإبداع الكتب وحرية النص

The Leftist
WRITER
The First Multi-Cultural Review in Diaspora
Academic - Political - Ideological - Critical and Cultural

Dr. Mahmoud Abbas
What did I achieve while I am at the cusp of 70 years

Issue No. 68 :: May 2022
Specialized in Written Creativity and Fredom of Thought
العدد رقم 68 :: أيار - مايو 2022

⌘ المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، باستثناء الموقعة باسم رئيس التحرير أو مدراء التحرير.

⌘ مجلة الكاتب اليساري غير تجارية وغير ذات نفع مادي، تغطي تكاليف إصدارها من خلال نشر بعض الاعلانات لمؤسسات أكاديمية وإنسانية وثقافية.

⌘ ترتيب الأسماء والمواد يخضع لاعتبارات فنية ولا علاقة لها باسم أو أهمية الكاتب.

⌘ المراسلات تتم باسم رس التحرير، مع مراعاة ذكر الاسم الكامل والعنوان ورقم الهاتف.